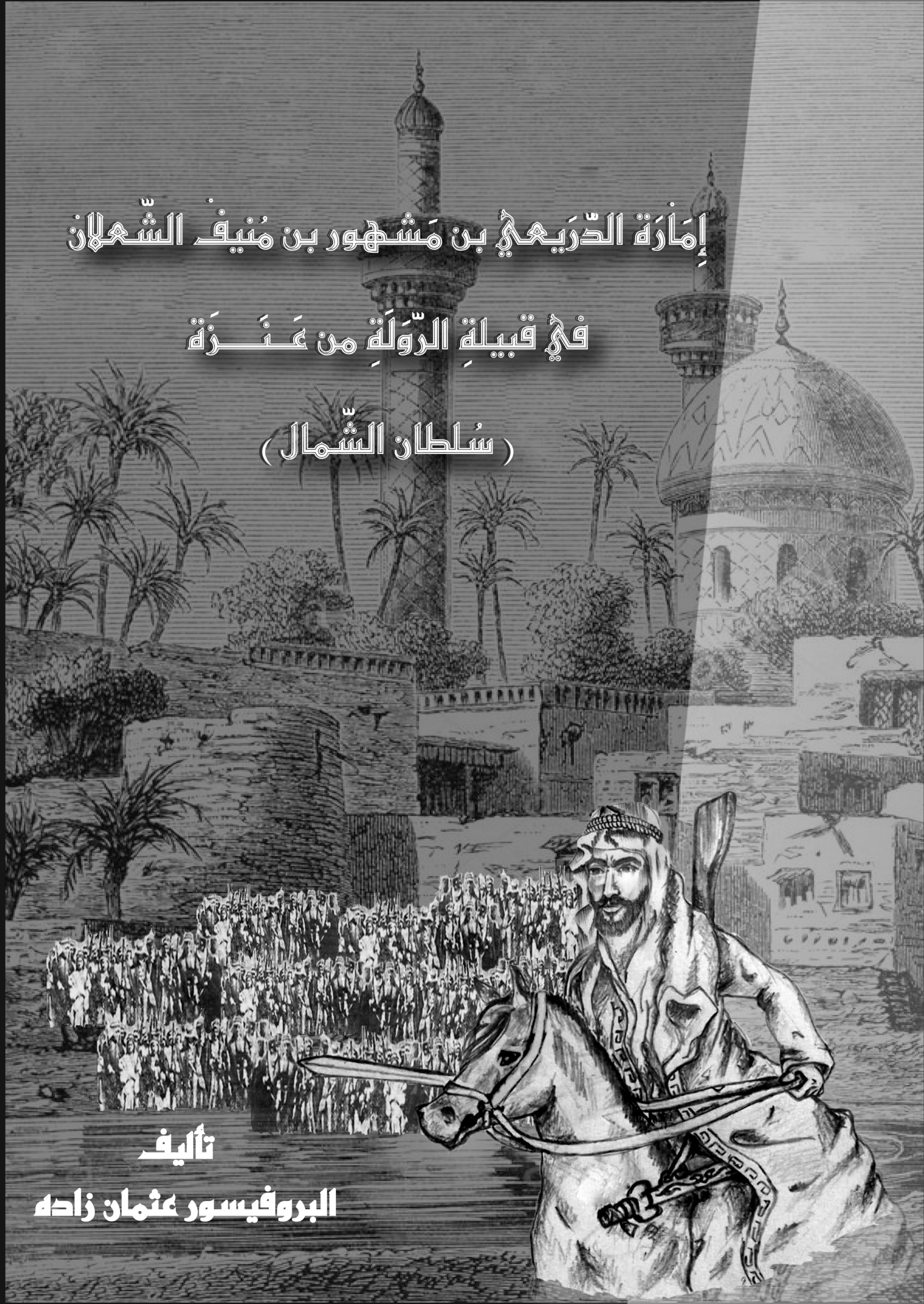


إِمَارَةُ الدّرَيعيّ بن مَشهور بن مُنيف الشّعلان

فيْ قبيلةِ الرّوَلَةِ من عَنَزَة

(سُلطان الشّمال)

تأليف

البروفيسور عثمان زاده

إِمَاْرَةُ الدّرَيعِيّ بن مَشهور بن مُنيف الشّعلانْ

في قبيلةِ الرّوَلَةِ من عَـــــنـــَــــــزة

(سُلطان الشّمال)

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: إمارة الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان في قبيلة الرولة من عنزة (سلطان الشمال)

إعداد: البروفيسور عثمان زاده

قياس الكتاب: 17×24

عدد الصفحات: 154 صفحة

الترقيم الدولي: 978-9933-9264-0-3

الطبعة الأولى

2018م/ 1439هـ



للنشر والتوزيع

دمشق - بيروت - استنبول

هاتف: ٥٧٣٨٠٢٤ (١١ ٠٠٩٦٣)

جوال: ٩٣٣٤٢٣٨٤٣ (٠٠٩٦٣)

بيروت

هاتف: ٨١٧١٧٣١٢ (٠٠٩٦١)

m.alqima.18@gmail.com



إمَارَة الدّرَيعي بن مَشهور بن مُنيف الشّعلان

في قبيلةِ الرّوَلَةِ من عَـنـــزة

(سُلطان الشّمال)

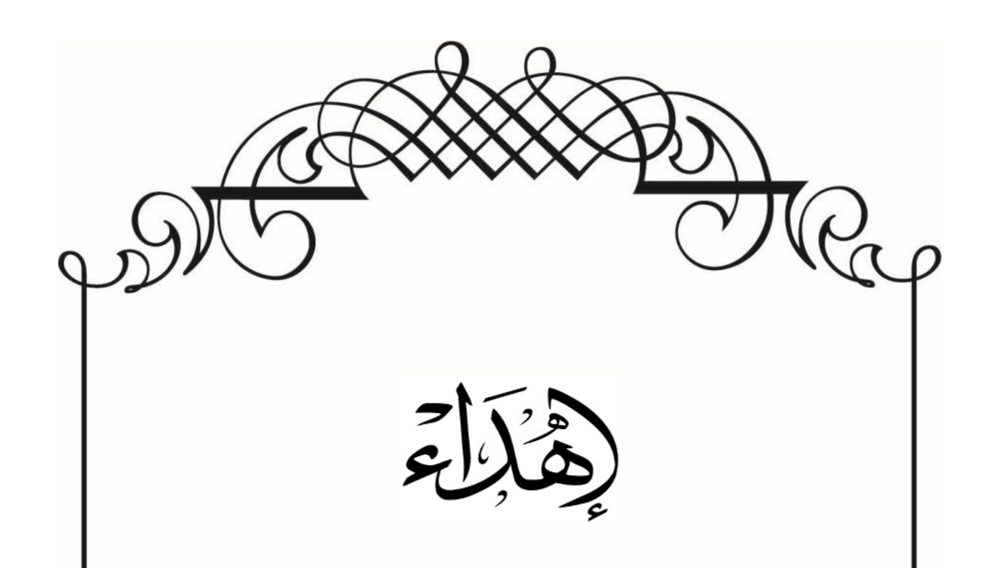
تأليف

البروفيسور عثمان زاده

ديار بكر

2007 م


بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى كلِّ مُحبٍ وباحثٍ عن حقائق التاريخ

إلى كل عاشقٍ ومُغرمٍ بمروءةِ سلاطينِ الصحراءِ

شكر وتقدير

نتقدم بالشكرِ الجزيلِ لكلِّ من أسهم في إنجازِ هذا البحث التاريخي المُهم في دول: تركيا والعراق وسوريا والخليج العربيّ والأردن واليمن وروسيا ، ونخصّ بالشكرِ شيوخ قبيلتي: عنزة وشمر وكبار رجالاتهما ورواتهما ، لما أجادت به ذاكرتهم من الدُّررِ في الموروثِ التاريخي لقبائلِ الصحراءِ .

التقديم

ما أجملَ أنْ يَكتب المرء في سِيَرٍ وتراجمِ رجالاتِ التاريخِ العربيّ والعالمي في حياة الأممِ والشعوبِ، بمنهجيةٍ وموضوعيةٍ صادقةٍ تَذْكُر الأحداث كما وقعت دون زيادة أو نقصان، فالتاريخ يُوثَّق بمصداقيةٍ مهنيةٍ صحيحةٍ.

لمْ يقتصر وجود العُظماء في التاريخِ على أهلِ المُدنِ أو الحواضر العالميةِ الكُبرى، بلْ شاركهم في تلك العظمةِ والشُّهرة بعض رجالات أهل البوادي العربيّة والإسلامية، مِمّن كانَ لهم أثر كبير في مُجرياتِ الأحداثِ التاريخية محلياً وعربياً وعالمياً، وهذا ما سيكتشفه القارئ والمُهتم والباحث في مُطالعتهِ صفحات هذا الكتابِ التاريخي: " **إِمَارَةُ الدُّرَيْعِي بن مَشهور بن مُنيف الشّعلان في قبيلةِ الرولةِ من عنزة " " سُلطان الشّمال "** فهو واحد مِنَ الكُتبِ القيّمةِ التي تناولت بدراسةٍ موثقةٍ سيرة وترجمة لقائدٍ تاريخيٍّ عربي مسلم كان له كبير الأثر في مُجريات الأحداث المحلية والعربيّة والدولية في زمنه، إبَّان إمارته وقيادته لقبيلته " الرولة " و توابعها من القبائلِ الأخرى.

فقد استطاع هذا الأمير البدوي بذكائهِ وحكمتهِ أنْ يُحافظ على مكانةِ قبيلتهِ في وسطها الاجتماعي على الصعيد المحلي والعربيّ والدولي، فلمْ يرضخ يوماً لعدوٍ مهما كانت قوته، إلى جانب إنسانية عالية تميَّزَ بها بما حباه الله من صفات الحلم والشجاعة والكرم وحسن الجوار وإكرام الضيف وإجارة الدخيل.

إنها حقاً سيرة قائد وشيخ وأمير تستحق أنْ يُؤَلَّفَ في تفصيلاتهم كُتبٌ عديدة تستقي منها الأجيال القادمة نوراً يضيء طريقها في المستقبلِ نحو العلوّ والسموِ والتألقِ ولا سيما في قراءة صفحات المروءة والقيم العربية الأصيلة من شجاعةٍ ورجولةٍ ووفاءٍ وكرمٍ حاتمي، وقديماً قال الشيخ طاهر الجزائري أحدُ أهمّ أعلام النهضة الحديثة، المتوفَّى بدمشق عام: 1339هـ/ 1920م، يُشير إلى أهمية الالتِفات إلى الكتابة عن الأعلام والقادة التاريخيين فيقول: " اذكُروا مَن عندكم من الرجال

الذين ينفعونكم في الشدائد، ودوِّنوا أسماءهم في جريدة لئلا تَنسوهم، ونوِّهوا بهم في كلِّ سانِحة، واحرِصوا عليهم حِرْصكم على أعزِّ عزيز".

إنَّ تدوين سير الحُكام والأمراء والشيوخ والقادة وتراجمهم يحفظ تاريخهم من النسيانِ والضياع والاندثار، ويُعطي للأبناءِ صورةً واضحةً عما قدَّمَ أولئك الرجال الأفذاذ من تضحياتٍ في سبيلِ قومهم وقبيلتهم وأمتهم، فتكون الترجمة حافزاً للأبناءِ والأحفادِ على مواصلةِ المسيرة إلى مستقبلٍ مُشرق.

طالعتُ هذا الكتاب التاريخي، للباحث البروفيسور عثمان زادة، فوجدته قد أبْدَعَ بما توصل إليه من حقائق تاريخية موثقة بقيت ما يزيد عن قرنيين من الزمن مُتناثرة بين بطون الكتب وصفحاتها، وفي صدورِ الرواةِ.

وقد وجدْتُ " سُلطان الشّمال: أمير الرولة: الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان " إنساناً قبل أن يكون قائداً وشيخاً عاماً لقبيلتهِ، تأصلت فيه شهامة عربية أصيلة يُتَوّجُهَا الكرم العربيّ مع ضيوفه من العرب والأجانب " المُستشرقين " الذين دوَّنوا مُلاحظاتهم حول ما رأوه في شخصهِ النبيل من: كرمٍ وحسنِ استقبالٍ وذكاءٍ وحنكةٍ وشجاعةٍ وقَّادَة في الحروب، وتسامحٍ ديني حتى مع الذين يُخالفونه في الدِّين[1] والعقيدة، أيضاً وثقت سطور الكتاب أنه مُخطِّط استراتيجي حربي للمعاركِ التي خاضها، ومُفاوض حذق ذكيَّ الفؤاد، استطاع بحكمتهِ أنْ يعقدَ حلفاً بينه وبين أكثر قبائل الجزيرة العربيّة، ليكونوا يداً واحدة ضد كل من يتربص السوء بهم، واستطاع بقوةِ شخصيتهِ أنْ يتربع على عرشِ رئاسة حلفه القبلي وقيادته.

إنها خطوة جريئة من المؤلف السيد عثمان زادة -جزاه الله خير الجزاء- في إبرازِ سيرةِ شخصية عربية إسلامية تاريخية مُهمة من تاريخ رجالات قبيلة " الرولة " العنزية العدنانية، حيث اعتمد في إنجازها على مجموعة من المراجع العلمية المُوثوقة ذات السّنَد التاريخي الصحيح، والتي دَونت لتاريخِ الجزيرة العربيّة زمن وجود أمير قبيلة الرولة وشيخها العام الدريعي بن مَشهور الشّعلان إبان العصر العثماني، وعلى

(1) عُرِفَ أمير الرولة في سياستهِ وتعاملاتهِ مع الآخرين بالفصل بين الدِّين والسياسة.

ما أَلَّفه الرّحالة المُستشرقون حول رحلاتهم في الجزيرة العربيّة، ومُقابلتهم له، فكان كتاباً موثقاً موفقاً، وهذا ما يزيد القارئ ثقة بما جاء فيه من حقائق وأحداث تاريخية.

د. حميد هنداوي

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرفِ المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إنَّ الهِمَم لَتَخْمُد، وإنَّ الرياح لتسكن، وإنَّ النفوس ليعتريها الملال، وينتابها الفتور، وإنَّ سِيَر العُظماء لمن أعظم ما يُذكي الأُوَار [1]، ويبعث الهمم، ويرتقي بالعقول، ويُوحي بالاقتداء. وكم من الناس من أقبلَ على الجِدّ، وتداعى إلى العمل، وانبعث إلى معالي الأمور، وترقَّى في مدارج الكمالات بسبب حكاية قرأها، أو حادثة رُويت له.

وسِيَر الأولين جميلة وأخبارهم جليلة وأعمالهم عظيمة، في ظلال تلك السّير عِبَر ودروس، وفي تأملها شحذ للهممِ والنفوس.

قال ابن خلكان في وفيات الأعيان : " لكن ذكرتُ جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم، أو كانوا في زمني ولم أَرَهُم، ليَطَّلِع على حالهم من يأتي بعدي " [2].

وهذا ياقوت الحموي في مطلعِ كتابهِ " إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب " المعروف بمعجمِ الأُدباء يقول : " فهذه أخبار قوم أُخذ عنهم علم القرآن المجيد، والحديث المُفيد، وبصناعتهم تُنال الإمارة، وببضاعتهم يستقيم أمر السُّلطان والوزارة، وبعلمهم يتمُّ الإسلام، وباستنباطهم يُعرف الحلال من الحرام " [3].

(1) الأوار: شدة العطش. تاج العروس، ج 10، ص: 87.

(2) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ص: 2.

(3) إرشاد الأريب، ياقوت الحموي، ص: 10.

وتزداد أهمية هذا العلم عندما يُلقي الضوء على سيرِ أشخاص ابتعد التاريخ بنا عن أخبارهم بسبب كثرتها وترك تدوينها، وكانت لهم مواقف تاريخية مُنيرة تجسدت بها قيم المروءة والنخوة والشهامة والشجاعة العربيّة الأصيلة.

هذا الأمر كان من أسباب تأليف هذا الكتاب، فهو محاولة جادة لتقديم شخصيةٍ إسلاميةٍ عربيةٍ تاريخيةٍ كان لها الأثر البالغ في الأحداثِ التي جرت في الجزيرةِ العربيّةِ، وبلاد الشام والعراق في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين.

إنها سيرة حياة سُلطان الشّمال الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان، الذي كان أميراً لقبيلة الرولة وشيخها العام؛ (شيخ الباب[1]، وشيخ الشداد[2]) مع لواحقها من عشائرِ المْحَلف وغيرها، جميعهم يأتمرون بأمره وينتهون بنَهْيِهِ، فهو مرجعهم في السِّلم والحرب على حدٍّ سواء، وما التحالُفات السياسية والعسكرية والاجتماعية التي أبرمها مع الحكام والأمراء وشيوخ القبائل الأخرى، إلى جانب الحروب التي قادها في زمنه، إلا دليلاً على مكانتهِ الاجتماعية في مشيخةِ البابِ والشِّداد في عموم قبيلة الرولة ولواحقها.

وبسبب مآثر الأمير الدريعي وحكمته وحنكته وذكائه وشجاعته وبُعد بصيرته أصبحت قبيلة الرولة قبيلة منيعة على أكبر قبائل البادية مُجتمعة، فسادت الرولة البادية المُمتدة من قرب بغداد إلى غرب الموصل إلى الفرات شمالاً وأنحاء حوران والأردن جنوباً طيلة عقود عديدة.

وقد ورد ذكر سُلطان الشّمال الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان في كثير من كتب الرحالة والمُستشرقين[3]، فتحدثوا عن حروبهِ وعن قبيلته ومكانتها بين القبائل.

(1) شيخ الباب : هو شيخ القبيلة العام حسب الأعراف والقيم في مُجتمعات القبائل البدوية

(2) شيخ الشداد: هو فارس القبيلة وعقيدها وقائد جيوشها في المعارك ومجالس الحرب.

(3) كما سيتبين ذلك خلال صفحات هذا الكتاب.

ولا زالت مآثره تتناقلها الأجيال في الموروث التاريخي، وقصص بطولاته التي يتفاخر بها قومه لا تزال تُروى بكل فخر واعتزاز إلى يومنا هذا.

ولذلك ليس غريباً أنْ تكون البيانات والأخبار المُوثقة عنه في هذا الكتاب قد دَوَّنها الاستشراق مدفوعاً **بدوافعه الثلاثة**: الدِّيني، والاستعماري، والعلمي. وأغلبهم كانوا جواسيس لحكوماتهم، فلا مصلحة لهم بتحريف الوقائع التي دونوها، بل نقلوها كما حدث بلا زيادة أو نقصان.

كانت حياة سُلطان الشّمال أمير الرولة مملوءة بالصراعات بين القبائل، من أجلِ تأمين موارد ماء للقبيلة تُناسب طبيعة حياة البدو التي تعتمد على التنقلِ بين المناطق، إلى جانب صراعات بينهم واعتداءات من أجلِ الغنائم، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى كان هناك خلاف بين الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان والدولة العُثمانية.

فقد اتسمت بدايات سياسة أمير الرولة الدريعي بخلافه الواضح مع الدولة العُثمانية وبتهديده لمصالحها في المنطقة، ولذلك تمَّ الاصطدام بينهما مرات عديدة، حتى أنَّ الرولة حاربت جيشاً قوامه ستة آلاف جندي تركي أرسله والي بغداد لكَبْحِ غُلوائها في المنطقة، وانتصرت عليه.

وقد أدى هذا الخلاف الحاصل بين الرولة والدولة العُثمانية إلى التقارب الدِّيني والسياسي والعسكري بين أمير الدِّرعيّة وأمير قبيلة الرولة.

وبعد أن اشتد نفوذ قبيلة الرولة، لم يكن أمام الولاة العثمانيين رحمهم الله من سبيلٍ سوى التقرب إلى شيخِ الباب والشّداد[1] لقبيلة الرولة الأمير الدريعي، فعرضوا عليه سُبل التقارب، ومنحوه لقب أمير، ودالي باش[2] في البادية العربيّة، وعرضوا عليه مُناصرتهم ضد خصومهم، وحماية مصالحهم مُقابل أنْ يكون في

(1) الشيخ العام لقبيلةِ الرولة في زمنه.

(2) منصب عُثماني يعني الحاكم المُطلق والرئيس العام.

حمايتهم، طلبه مُجاب، وكلمته مسموعة، وذلك في سنة 1223هـ /1808م كما تُشير الوثائق والمدونات العُثمانية في ذلك الوقت.

ولما زار سُلطان الشّمال الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان أمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود رحمه الله، تمَّ الاتحاد بينهما واتفقا أن يكونا روحين في جسد واحد، إذ تحالفا على السيفِ والمصحفِ، وتعهد الإمام عبد الله بن سعود أنْ يُمِدَّ أمير الرولة بالمال والرجال لاستملاك عربستان إن طُلب إليه ذلك، وتم قراءة الفاتحة على ذلك.

هذه الأخبار وغيرها سيجدها الباحث والقارئ والمُهتم في هذا الكتاب، الذي هو خدمة لتاريخ الجزيرة العربيّة وتاريخ بادية الشام والعراق إبان العصر العثماني التليد الذي عاش فيه أمير الرولة، وعلى أرضها جرت تلك الأحداث والقصص.

وقديماً أَسِفَ المؤرخ الأستاذ أحمد وصفي زكريا – وهو من أهَمِّ من كتب عن حياة البدو وعن قبائل الشام والجزيرة العربيّة - فقال : " ومن دواعي الأسف أنْ لا يكون للرولةِ تواريخ مُسَجَّلة، وذكريات محفوظة عن ماضيها ووقائعها، كما هو الحال لدى العشائر كلها، بحكم الأُمِّيَّة وفقدان التدوين " [(1)].

وقد آنَ الأوان للكشف عن حقبةٍ مهمة من تاريخِ قبيلةِ الرولةِ بكل إنصافٍ وموضوعيةٍ، باعتماد مناهج البحث العلمي والوثائق والكتب التاريخية المُعتمدة، ولا سيما ما كَتبه الرحالة والمُستشرقون ودونته أرشيفات الدُّول الكُبرى في زمنه.

وقد جاءت خطة الكِتاب كالآتي:

- **التقديم.**
- **المُقدمة.**
- **تمهيد:** قبيلة الرولة في التاريخ.

(1) عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، ص: 369.

➢ **الفصل الأول:**

قبيلة الرولة في القرن (18) الثامن عشر الميلادي:

- **المبحث الأول**: قبيلة الرولة في القرن (18) الثامن عشر الميلادي.
- **المبحث الثاني**: هجرة قبيلة عنزة من نجد والحجاز إلى سوريا والعراق واستقرارها.

1- ديار الرولة في القرن (18) الثامن عشر الميلادي.

2- الرولة في بلاد الشام.

3- نسب قبيلة الرولة وتفرعاتها.

➢ **الفصل الثاني:**

إِمَاْرَةُ الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان في قبيلةِ الروِلةِ:

- **المبحث الأول**: مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح.

أنواع الإمارة.

- **المبحث الثاني**: التعريف بالدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان.

1. اسمه ونسبه.
2. ولادته.
3. أسرته.
4. نشأته.
5. صفاته وأخلاقه.
6. التسامح الدِّيني عند الدريعي بن مَشهور بن منيف الشعلان واحترامه جميع الطوائف والأديان.

أ- الصايغ وأمير الرولة.

ب- ماري تيريز وحسن ضيافة أمير الرولة لها.

7. شجاعته.

- **المبحث الثالث:** أعماله وإمارته لقبيلة الرولة:

1. أعماله وبطولاته.
2. إمارته في قبيلةِ الرولةِ.

- **الفصل الثالث:**

وقائع الرولة في عهد الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف بن الشعلان:

- **المبحث الأول**: واقعة صيحة حصة.
- **المبحث الثاني**: وقائع الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع السعوديين :

1- بداية الحرب مع السعوديين.
2- الدريعي يرد غزواً آخر لجيش الإمام.
3- الاستعداد للحرب مع جيش الإمام.
4- المعركة الكبرى قرب حماة.
5- انكسار الجيش العثماني.
6- الحلف الأكبر.
7- مع عرب العجم والهند.
8- رسالة من الأمير عبد الله بن سعود إلى الأمير الدريعي بن مشهور بن منيف الشّعلان.

- **المبحث الثالث**: الحرب بين الرِّوَلَة والحِسَنَة.

- **الفصل الرابع:**

تحالُفات أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان:

- **المبحث الأول**: تحالف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع أمير الدِّرعيّة.
- **المبحث الثاني**: تحالف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع نابليون بونابرت.
- **المبحث الثالث**: تحالف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشعلان مع أمير العجم سعد البُخاريّ رئيس قبائل الهند.

- **الفصل الخامس:**

أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان في كُتب المُستشرقين:

- **المبحث الأول:** لاسكاريس العرب - أو تيودور لاسكارس- يلتقي أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان.
- **المبحث الثاني:** المُستشرق الفرنسي سيديو يتحدث عن أمير الرولة الدريعي ابن مَشهور بن منيف الشّعلان.
- **المبحث الثالث:** المُستشرق النمساوي لويس موزل (موسيل) يمدح أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان.

- **الفصل السادس:**

صورة أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان في الشعر البدوي:

- **المبحث الأول:** أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان وصيحة حصة وما قيل فيها من الشعر.
- **المبحث الثاني:** أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان وبنيه الجربا.
- **المبحث الثالث :** أمير الرولة الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان وما قيل من الشعر عن إمارته على الجوف.

- **الملاحق :**
- **المُلحق الأول:** رسائل الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان إلى شيوخ العُربان في بادية الشام والعراق.
- **المُلحق الثاني:** الوثائق التاريخية التي ذكرت الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان.
- **المُلحق الثالث:** صورة تقريبية للأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان.
- **الخاتمة.**
- **فهرس المصادر.**
- **فهرس الموضوعات.**

تمهيد

قبيلة الرولة في التاريخ

قبيلة الرّوَلَة من أمنع قبائل " عَنَزَة " وأقدمها في جزيرةِ العرب وبلاد الشام والعراق، فهي القبيلة التي استطاعت الاحتفاظ بالعُطْفة التي مَنحتها الشُّهرة والمنعة والقوة في وسطها القبلي؛ وهي هودج نسائي مُزَيَّن بطريقة خاصة تعتليه أنثى من أرفع البنات نسباً، وأكثرهن جُرأة وطلاقة وشجاعة.

والرولة تُعد أكبر قبيلة تَرحُّل، ففي الشّمال دأبت على الظهور صيفاً في أرجاء سورية وبلاد الرافدين حتى حدود بغداد التي كانت تحت حماية أميرها الدريعي بن مَشهور الشعلان سنة (1800هـ حتى سنة 1825 م) بصحبة أعداد هائلة من الجِمال، وشتاءً تنسحب إلى جوف الصحراء جنوباً.

تنتمي الرولة في أصولها النسبية إلى قبيلة " عنزة " الوائلية العدنانية أقدم قبائل الجزيرة العربيّة، التي يُمكن تَتَبُّع تاريخها إلى الحقبة الجاهلية.

كانت عنزة - ومنها الرولة - تستقل بنفسها في العصر العثماني عندما تقوم بترحالها الشتوي، قبل أنْ تعود خلال فصل الصيف إلى قبضة الحكومة التي كانت تستطيع عندئذ منعها من بلوغ الأسواق والمراعي، ضمن مناطق معينة.

أدت إقامة قبيلة عنزة في البوادي والأراضي الزراعية إلى مُنازعات كثيرة مع السكان الأصليين، أحجمت الحكومة عن التدخل فيها بوجه عام، لأنها تُهدد مصالحها المالية والسياسية في النفوذِ والسيطرة، وقد كانت قبيلة الرولة في عهد أميرها الدريعي تتمتع بتماسك عُضوي وأُسري وقبلي واجتماعي تفتقر إليه بعض من القبائل البدوية الأخرى من " عنزة "، وقد أرجع كثير من الساسة والعسكريين مثل: نابليون بونابرت وبعض المُستشرقين مثل: فتح الله الصايغ، وابن بسام ذلك إلى قُوة وحِنْكَةِ وذكاء الشخصية الكارزماتية لأميرها الدريعي.

كانت قبيلة الرولة تسلك طريقين في ترحالها: واحدة تقود إلى النقرة عبر وادي السرحان، وأخرى تمُرُّ بالحماد، ثمَّ تنقسم بمحاذاة دمشق وتذهب إما إلى الشّمال نحو تدمر، ومن هناك إلى القريتين ثمَّ الضمير، أو نحو الغرب عبر الصقيل إلى خان الشامات والضمير لتبلغ كتلة الرولة الكبرى من هناك النقرة والجولان (الشيخ سعد- تل الجوخدار- فيق). بينما يقصد قسم صغير منهم مراعي حمص من القريتين مروراً بالفرقلس، ويتوغل من حين لآخر داخل البقاع[1].

وقد وصف عمر رضا كحالة قبيلة الرولة قائلاً : " يُقدر الباحثون عدد بيوت الرولة بـ 5000 بيت وبعيرها بـ 100000 وبـ 5000 شاة، و100 فرس. ينزلون في نجد والعراق، والشام حول بئر القمة، وعين الحياة والفرقلس، حسية الجولان، غوطة دمشق، منطقة الخبرات في الحماد، القريتين من محافظة حمص، درعا، والشرقية وبحرى وقبلي بمصر التي هاجروا إليها بعد أعوام الجفاف والقحط في نجد في القرون الماضية إلى مصر بحثاً عن الكلأ والوفادة واستقروا هناك، وهم أصحاب ضياع وتجارة ونسب عريق. وعن طريق فلسطين واستقروا فيها أيضاً.

وكانوا يقضون الشتاء في مُنحدرات الشرق والجنوب من جبل عنزة، حتى جوار الجوف، وإذا كان المرعى حسناً يتخطون مسافة واسعة، ويقطنون الأرضين الواقعة شمالي الوجه " [2].

مكانة الرولة بين القبائل وما اختصت به:

أما عن مكانة الرولة بين القبائل فلا يُنكر أحد أنَّ لهذه القبيلة منذُ القدم ولا سيما في زمن شيخها العام الدريعي بن مَشهور الشّعلان، ومن ثم مشيخة ابنه الأمير صحن من بعده وما بعده مكانةَ الصدارة في القوة، والهيبة، والنفوذ، وإغاثة الملهوف، وإجارة الدخيل، والدفاع عن الشرف، وسوف يتضح ذلك من خلال ذكر الوقائع التاريخية لقبيلةِ الرولة مثل: واقعة صيحة حصة، و واقعة حصار بغداد وغيرها، وواقعة المُربع في عهد الأمير صحن بن الدريعي.

---

(1) البدو، أوبنهايم : ج1، ص: 173- 195.

(2) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، ج2، ص: 451.



قبيلة الرولة في القرن (18) الثامن عشر الميلادي

- **المبحث الأول:**

قبيلة الرولة في القرن (18) الثامن عشر الميلادي.

- **المبحث الثاني:**

هجرة قبيلة عنزة من نجد والحجاز إلى سوريا والعراق واستقرارها.

1- ديار الرولة في القرن (18) الثامن عشر الميلادي.

2- الرولة في بلاد الشام.

3- نسب قبيلة الرولة وتفرعاتها.

المبحث الأول:

قبيلة الرولة في القرن (18) الثامن عشر الميلادي

يقول كامل الغزي في كتابه تاريخ حلب في حوادث سنة 1133هـ /1721م: " زاد طغيان العرب المعروفين بالعباسيين في صحراء حلب، وكَثُر ضررهم على السَّابِلَة[1]، وعَسُرَ على الوُلاة ردعهم، فعَيَّن الباب العالي قُوَّاداً وجيوشاً من بغداد والموصل وديار بكر وغيرها، وأُنفذت إلى هؤلاء الأوامر المؤكدة بشن الغارات ومتابعتها على العُربان المذكورين، فتناوشتهم العساكر من كل جانب، وأذاقوهم أنواع المعاطب والمصائب، فكُفَّ ضررهم ومُنِع خطرهم " [2].

ثمَّ حدث أن هاجرت قبائل نجد وعلى رأسها شمر وعنزة، بدأت شمر بالهجرة وتبعتها عنزة في بداية القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر ميلادي)، وكان سبب الهجرة: حدوث حالة من القحط والجفاف في المنطقة، وظهور الدعوة الوهابية على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب[3] (1115 - 1206 هـ /1703 - 1792 م).

---

(1) السابلة: الطريق المسلوك، يُقال: سبيل سابلة أي مسلوكة، والمَارُّوْنَ عليه. جمعه سوابل. المعجم الوسيط، مادة: سبل.

(2) عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، ص: 106.

(3) هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها وزار الشام. ودخل البصرة فأوذي فيها. وعاد إلى نجد، فسكن (حريملاء) وكان أبوه قاضيها بعد العيينة. ثم انتقل إلى العيينة، ناهجاً منهج السلف الصالح، داعياً إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام. وارتاح أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره، ثم خذله، فقصد الدرعية (بنجد) سنة 1157 هـ=1744م فتلقاه أميرها الإمام محمد بن سعود بالإكرام والتبجيل، وقَبِل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه الأمير عبد العزيز ثم الأمير سعود بن عبد العزيز، وقاتلوا من خلفه، واتسع نطاق ملكهم فملكوا شرق الجزيرة كله، ثم كان لهم جانب عظيم من اليمن. وملكوا مكة والمدينة وقبائل الحجاز. وقاربوا الشام ببلوغهم (المزيريب) وصولاً إلى حلب. وكانت دعوته - وقد جهر بها سنة 1143 هـ (1730 م)- الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله: تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، فظهر الآلوسي الكبير في بغداد، وجمال

يقول أحمد وصفي زكريا : " ولما ذَرَّ فجر القرن الثاني عشر كانت الدعوة الوهابية في نجد قد استفحلت، فحدثت بواعث لهجرة بدوية جديدة حركت وقتئذ قسماً من شمر، فزحفت في أوائل ذلك القرن نحو بادية الشام تخلُّصاً من الضغط الحاصل عليهم، وطلباً لأماكن أخصب من التي كان فيها، ووصل الجيش السعودي تدمر والسخنة (...)، ثم تقدم نحو ديرة الشنبل يحاول النفوذ فتصدت الموالي له، وحدثت معارك انتهت برد شمر وإرجاعها إلى نجد، لكن شمراً لم تجد مجالاً للاستقرار في نجد من ازدياد نفوذ السعوديين، فرجعت إلى بادية الشام بعد حين " [(1)].

ثمَّ قال : " وكانت طلائع عنزة الحسنة والولد علي قد خرجت بعد شمر في حدود سنة 1112هـ /1700م من شمالي الحجاز، وبلغت وادي السرحان، ثمَّ أطراف البلقاء، واشتبكت مع عشائر هذه الأنحاء (السرحان والسردية والفحيلية وبني صخر) الذين تحالفوا وتألَّبُوا عليها ودحروها، وبعد معارك دامت سنينَ عديدة تَقَوَّت عنزة، فدخلت منها عشيرة (الولد علي) إلى حوران والجولان واستقرت.

الدين الأفغاني بأفغانستان، ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمي بالشام، وخير الدين التونسي بتونس، وصديق حسن خان في بهوبال، وأمير علي في كلكتة، ولمعت أسماء آخرين.

وعُرف من والاه وشد أزره في قلب الجزيرة بأهل التوحيد (إخوان من أطاع الله) وسماهم خصومهم بالوهابيين (نسبة إليه)، وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوربيين فدخلت معجماتهم الحديثة، وأخطأ بعضهم فجعلها (مذهباً) جديداً في الإسلاّم.

ومن أقدم ما كُتب عن جزيرة العرب بعد قيامه. Historie des Wahabis: par L A تاريخ الوهابيين، تأليف ل أ. طبع بباريس سنة 1810 م، أي بعد وفاة الشيخ بثماني عشرة سنة. وكانت وفاته في (الدرعية)، وحفداؤه اليوم يعرفون ببيت (آل الشيخ)، ولهم مقام رفيع عند آل سعود حكام المملكة العربية السعودية. وله مصنفات عديدة أكثرها رسائل مطبوعة، منها: (كتاب التوحيد)، ورسالة (كشف الشبهات)، و(تفسير الفاتحة)، و(أصول الإيمان)، و(تفسير شهادة أن لا إله إلا الله)، و(معرفة العبد ربه ودينه ونبيه)، و(المسائل التي خالف فيها رسول الله - صلّى الله عليه وسلم - أهل الجاهلية)، و (فضل الإسلاّم)، و(نصيحة المسلمين)، و(معنى الكلمة الطيبة)، و(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، و(مجموعة خطب)، و(مفيد المستفيد)، و(رسالة في أن التقليد جائز لا واجب)، و(كتاب الكبائر). وفي تاريخ (ابن غنام) رسائل بعث بها الشيخ إلى أهل البلاد النجدية والأقطار الإسلاّمية. ومما كتب في سيرته (محمد بن عبد الوهاب) لأحمد عبد الغفور عطار. الأعلام، الزركلي، ج6، ص: 257.

(1) عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، ص: 107، 108.

أما الحسنة فقد استمرت في سيرها نحو الشّمال، وبلغت أنحاء حمص وحماة في حدود سنة 1171هـ /1757م – على ما يُظن- ودحرت الموالي نحو منازلها الحالية في العلا (شرقي قضاء المعرة)، ثم صارت تُزاحم شمراً على المراعي والمناهل الشرقية في أنحاء جبل البشري وجبل المعمور، فاضطرت شمر إلى أنْ تَعبر الفرات في عهد رئيسها فارس الجرباء وتستقر في الجزيرة، ثمَّ توالى قدوم بقية عشائر عنزة طيلة القرن الثالث عشر إلى براري الشام وتوالى انسياحهم.

فهجرة بني خالد وشمر وعنزة في القرن (11و12و13هجري /17و18و19 ميلادي) كانت آخر الهجرات البدوية الكُبرى... " [1].

ثمَّ تكلم أحمد وصفي زكريا في موضع آخر من كتابه " عشائر الشام " عن قبيلة الرولة فوصف بيوتهم وما يملكون من الإبل والغنم والأفراس، كما تحدث عن تاريخهم وهجرتهم فقال : " وأكثر بيوت الرولة من نوع الخُربوش[2] ذي العمود الواحد، مما يجعل لحلالهم منظراً بسيطاً، ذلك لأنهم أهل إبل أقحاح لا يُرَبُّوْنَ الغنم ما عدا فرقتي الفرجة والشّعلان منهم، وتربية الإبل تجعل أماكن نجعتهم شاسعة، بعيدة من مفاوز[3] الحماد، التي لا تلائم تربية الغنم ومقدرتها، وهو ما أبقاهم حتى الآن كما قلنا على الفطرة البدوية القديمة، حتى أنَّ أكثر طعامهم من التمر وحليب النوق.

وضَمَّتْ الرولة عدداً من العشائر ذات المكانة المتوسطة، وهذه العشائر تُسمى (المْحَلف) [4] لأنها حالفت الرولة وأذعنت إليها في كل ظروف الحياة البدوية [5].

---

(1) عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، ص: 108.

(2) الخربوش: الخيمة الصغيرة. تكملة المعاجم العربية، ج4، ص: 41.

(3) فيافي الصحراء.

(4) هم عشائر: السوالمة وشيخهم ابن جندل، والأشاجعة وشيخهم ابن معجل، والعبد الله وشيخهم ابن مجيد.

(5) عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، ص: 368، 369.

يقول أحمد وصفي زكريا : " أما تاريخ الرولة فهو كغيرها من العشائر، طافح بأخبار البداوات والغزوات والغارات وحوادث الاغتيال، لاحتجاب الحكم والتفرد به، وبعد أنْ كانت الرئاسة في فخد القعقاع، تسلمها آل شعلان بالقوة، وظلوا مُنذ قرون يسودون الرولة كلها، يرافقهم التوفيق تارة، والإخفاق أخرى، حتى جعلوا الرولة أقوى العشائر، وأشدها مَنَعَةً وعزة، وألحقوا بها عدة عشائر أصغر منها، انضوت إلى لوائهم وزحفت وراءهم "[1].

قلنا إنَّ الرولة وصلوا إلى بلاد الشام مُتأخرين، أيْ بعد الحسنة والولد علي والفدعان والسبعة، كانوا في أول ورودهم يترددون بين وادي السرحان وأنحاء البلقان وحوران، وما زالوا يزحفون حتى استقروا في منازلهم الحاضرة، وكانوا حين ورودهم في أوائل القرن الثالث عشر الهجري لا يستطيعون أنْ يمتاروا من حواضر هذه الأنحاء إلا إذا سَمح لهم ابن سمير شيخ الولد علي، لكنهم ظهروا بعد حين على الولد علي وغيرها من العشائر بكثرتهم وقوتهم، واستطاعوا فرض الخُوَّة على القرى المُتطرفة في أنحاء البلقان وحوران، وأقلقوا الحكومات التي كانت في هذه الديار، من هنا كان العداء مُتأصلاً بينهم وبين الولد علي...[2].

مما سبق يتضح: أنَّ عشائر الرولة بقيت مُتماسكة تجمعها الوحدة القبلية ولم تتفرق في البلاد كغيرها، ولذلك فهي اليوم تعيش في منطقة جغرافية واحدة، وبقيت على مدى عشرات السنين القبيلة الأقوى في شمال الجزيرة، ولذلك -حتى حاضرتها- تَمَحْوَرَ أغلبهم في الجوف، باستثناء القليل في نجد وبلاد الشام والعراق.

---

(1) المرجع السابق، ص: 369.

(2) المرجع السابق، ص: 369.

المبحث الثاني:

هجرة قبيلة عنزة من نجد والحجاز إلى سوريا والعراق واستقرارها

وقد كان سبب الهجرة قلة الكلأ في نجد، ممَّا اضطر القبيلة إلى الهجرة شمالاً إلى جهات سوريا والعراق والأردن ونواحي تركيا.

يقول ابن بشر في كتابه " عنوان المجد في تاريخ نجد " : " 1136هـ /1723 م: عَمَّ المحل والغلاء والقحط من الشّام إلى اليمن في البادية والحاضرة، ورحل أكثر البوادي في البلدان وغارت الآبار، وجَلَا أهل سدير، ولم يبق في العطار إلا أربعة رجال، وغارت آباره حتى لم يبق في بلد العودة والعطار إلا بئران في كل بلد، وجلا كثير من أهل نجد إلى الإحساء والبصرة والعراق... " (1).

وتقول الليدي آن بلنت في كتابها (رحلة إلى بلاد نجد) ما نصه : " قِلَّةُ الكلأ في نجد.... وقد اختفت (عنزة) من نجد، لقد شرعت في الهجرة شمالاً مُنْذُ حوالي مائتي عام، وقد استمرت مُنذُ ذلك الحين، تنتقل في هجرات مُتوالية، حتى هجروا جميعاً منازلهم الأصلية... " (2).

ويؤكد ذلك عبد الرحمن بن عثمان آل ملا في كتابه " تاريخ هجر " الجزء الأول: في سنة ألف ومائة وستة وثلاثين للهجرة (1136هـ /1723م) عَمَّ القحط والغلاء نجد واليمن، فغارت مياه الآبار، حتى لم يبق في كل من بلدي العودة والعطار سوى بئرين، فهلك الحرث والنسل، وشحت الأرزاق، ولاذ أهل البادية بالمُدن، وهاجر أقوام كثيرة من أهل نجد إلى الإحساء والبصرة والعراق، ولم يظل في بلد عطار سوى أربعة

(1) عنوان المجد في تاريخ أهل نجد، ابن بشر، ج1، 365.

(2) رحلة إلى بلاد نجد، الليدي آن بلنت، منشورات دار اليمامة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2، 1978م، ص: 285.

رجال، وفي السنة التي تلتها نزح أيضاً عدد كبير إلى العراق والإحساء، وهلك كثير من عُربان قبائل حرب، والعمارات من عنزة، وبني خالد وغيرهم.

ويقول أحمد وصفي زكريا في كتابه " عشائر الشام " ما نصه: " وكانت طلائع عنزة (الحسنة والولد علي) قد خرجت بعد شمر في حدود سنة 1112هـ /1700م من شمالي الحجاز وبلغت وادي السرحان، ثم أطراف البلقاء، واشتبكت مع عشائر هذه الأنحاء (السرحان والسردية والفحيلية وبني صخر)، وكان هذا التحالف يُسَمَّى حلف الشّمال فهزمته عنزة ...أما الحسنة فاستمرت في سيرها نحو الشّمال، وبلغت أنحاء حمص وحماة في حدود 1171هـ /1757م.

ثمَّ صارت تُزاحم شمر على المراعي والمناهل الشرقية في أنحاء جبل البُشري وجبل العمور، فاضطرت شمر إلى أنْ تَعبر الفرات في عهدِ رئيسها - الشيخ - فارس الجرباء، وتستقر في الجزيرة... ثمَّ توالى قدوم بقية عشائر عنزة ... " (1).

ويقول حيدر الشهابي في تاريخه: " أن جموعاً عظيمة من الفدعان والأسبعة والعمارات وأمثالها من عشائر عنزة قدِمت من نجدٍ بسببِ الجدب والضيق، وانتشرت في شرقي العاصي في براري حماة والمعرة " (2).

أما المُستشرق لويس موزل فيقول عن عنزة وعن الرولة : " عشيرة عنزة التي بدأت تزحف في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وقد اقتفت أثر شمر إلى الجزيرة السورية، وقد دفعت عشيرتا: الفدعان والحِسنه شمر أمامهُما عبر نهر الفرات، وأسسوا مواطنهم في السهول الشّمالية التي يُصيبها نصيب كبير من الأمطار، وليست جافة كالمنطقةِ الواقعةِ في أواسط البلاد العربيّة.

ويظهر أنَّ عشائر العمارات والسبعة وولد علي قد هاجرت بعدها، ثمَّ جاءت قبيلة (الرولة) في أواخر القرن الثامن عشر، فانتعشت مواشيهم، وازداد عددها في مناخ أكثر ملائمة من مناخ شبه الجزيرة العربيّة، ومن المُمكن إيجاد أكثر الخيول

---

(1) عشائر الشام، أحمد صفي زكريا، ص: 108.

(2) لمزيد من الاطلاع انظر: تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي، مطبعة السلاّم، مصر، 1900م.

أصالة وجودة في عنزة الشّمالية، وكذلك قطعان الإبل العظيمة، وقد بقي البدو الرُّحل الذين يعتزون بنقاوة دمهم بعيدين كُلَّ البعدِ عن الحكومةِ العُثمانيةِ، ما عدا بعض الواحات التي فيها أشجار النخيل على الفُرات الأدنى، فقد اشتغل أفراد هذه العشائر بالزراعة خاصة على نهرِ الخابورِ وبالقربِ من القُرى القريبة من دمشق.

ولم يتعهد رؤساؤهم وشيوخهم بالمُحافظة على النظام بعد حصولهم على الأراضي الزراعية، ولم يشرعوا في الحراثة والزراعة والحصاد في أية بقعة في سورية، وقد منحهم موقعهم الجغرافي السيطرة على الطريق الرئيسي في البلاد العربيّة (طريق الحرير وطريق الحج)، وتُعد الحماد جسراً " مُوصِلاً " بين سوريا والعراق وليس حُدوداً فاصِلة، وكانت القوافل تَعبر هذا الطريق من دمشق إلى بغداد كل أسبوعين مرة حتى سنة: 1911م بانتظام، وفي فصلي الشتاء والربيع يقطع الطريق نفسها تجار الأغنام والرعاة، وعليهم أنْ يدفعوا ضريبة إلى قبيلة عنزة للمُحافظة على أرواحهم وحماية أموالهم، بينما كانت إبل قبيلة عنزة تقوم بنقلِ البضائع والناس، وتَمْوِيْنِ أسواق سوريا ومصر، وظل طريق الفُرات (طريق الحرير) بين حلب وبغداد تحت رحمة هذه العشيرة، وبهذا تُعتبر عشيرة عنزة من أعظم العشائر استقلالاً، وعلى حسب رغبتها تتوقف حرية الاتصال بين سوريا والعراق، وقد لعبت عنزة في القرن الأخير دوراً كبيراً في السياسة السورية والعراقية والنجدية، على أنْ يحتفظوا دائماً بعلاقات ودٍّ وصداقة مع أولئك الذين يُسيطرون على تُجَّار هذين القطرين.

وتحتل قبيلة الرولة القسم الغربي من صحراء سوريه بالتعاون مع الولد علي والمحلف الذين يُعتبرون حُلفاءهم، ومع أصدقائهم الحسنة والولد علي، الذي يُقارب عددهم 7000 خيمة، والذين يترحلون في الصحراء الواقعة بين حمص وحماه في الشّمال، حيث توجد المراعي الصيفية لقبيلة الحسنة، والذين شرعوا يُمارسون الزراعة وحياة الاستقرار، وتمتد حتى القصر الأزرق إلى الجنوب من جبل الدروز، حيث تُلامس ديار الرولة ديار بني صخر إلى الجنوب من وادي السرحان إلى واحة الجوف.

وأمّا في الصيفِ فتشغل مراعي المنطقة الواقعة في الجنوب من المدينة، وتمتد غرباً حتى الجولان، وتصل الحدود الشرقية لديار الرولة جبل عمود ومصادر وادي حران، ويشغل تحالف عشائر ولد علي السهول الواقعة إلى الشرق والجنوب الشرقي من دمشق، وعلى طول القسم الأول من الطريق القديم لبريد بغداد.

وتترحل العمارات في الزاوية الشرقية من الصحراء السورية بين كربلاء وهيت، وتُلامس الحافة الشّمالية من النفوذ وتذهب جنوباً إلى مناطق شمر إذا قَلَّ الكلأ والعشب، عاقدين الهدنة مع شيوخ الديار الأخرى، ففي الأيام الأولى من الربيع يجدون المياه وافرة في الوديان جنوب كربلاء، وفي المنخفض الواسع التي تبعد عن هيت بمسيرة يومين غربي هيت، ويقفلون راجعين إلى الفرات في فصل الصيف، أو يجتمعون ويتكتلون حول الينابيع في وادي حوران.

1- **ديار الرولة في القرن** (18) **الثامن عشر الميلادي**:

عندما هاجرت قبيلة الرولة من نجد في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي. استقرت في منطقة الجوف مدة طويلة، ومن ثم اتخذتها قاعدة لها في الانتشار شمالاً باتجاه بلاد الشام وحتى تيماء غرباً.

وأحكمت سيطرتها على هذه المنطقة، وأصبحت أقوى القبائل في هذه المنطقة، وكان لها أثرها البارز على الصعيد السياسي والاجتماعي هناك، وامتد نفوذها السياسي والعسكري في عهد شيخها العام الأمير الدريعي بن مَشهور إلى حدود بغداد في العراق.

ونذكر ديار الرولة وأماكن استقرارها وهو على النحو التالي:

- من جهات الفرات في سوريا إلى جهات بغداد في العراق.
- من دومة الجندل في بلاد نجد إلى دومة الشام في سوريا.
- من أرض النفوذ إلى حوران.

2- الرولة في بلاد الشام:

كانت الرولة من أكبر قبائل الشام وأقواها ولا سيما في عهد أميرها الدريعي بن مَشهور المُلقب بسُلطان الشّمال (1800م - 1835م) وكان لها نفوذها لدى العُثمانيين. وقد استطاعت نيل مكانتها هناك بفضل قوة مشايخها وأمرائها من آل الشّعلان وهيبتهم، الذين أَمَّنُوا القوافل الشامية، وساعدوا على استقرار الأوضاع حينها.

وكانت الرولة طول تاريخها تتردد بين الشام والجوف بحثاً عن المراعي الخصبة، حيث كانت تملك مئات الألوف من الإبل.

وبالطبع هناك الموطن القديم للرولة قبل هجرتها من خيبر، وهناك وادي الجلاس يُعرف إلى اليوم بهذا الاسم. وهو يُنسب للجلاس وهم: الرولة والمحلف من عنزة.

ويُمكن الاستنتاج بأنَّ هجرة قبيلة الرولة قد مرَّت بأربع مراحل، هي:

أ- **المرحلة الأولى:** من ضواحي خيبر ووادي الجلاس إلى القصيم شرقاً.

ب- **المرحلة الثانية:** من القصيم إلى الجوف، وغرباً إلى ساحل البحر الأحمر عند مدينة الوجه المعروفة. حيث تذكر الروايات أنَّ قبيلة الرولة كانت تَرِدُ على آبار الوجه، ويذكر صاحب كتاب مُختصر الجغرافيا الكبير المتوفي عام: 1102هـ /1691م: أنَّ قبيلة الرولة هم أهل الجوف.

ت- **المرحلة الثالثة:** حيث امتدت إلى عام: 1170هـ /1757م تقريباً _ وفيها لم تنقطع قبيلة الرولة عن مسقط رأسها بلاد نجد، والدليل هو خوض قبيلة الرولة لبعض المعارك في نجد مُشاركة مع بني عمومتهم قبائل عنزة ضد بعض القبائل الأخرى، أو مُنفردة عنهم، حيث يذكر المؤرخون اسم: الرولة وبعض أسماء شيوخها في هذه المعارك.

ث- **المرحة الرابعة:** وفيها توغلت قبيلة الرولة في بادية العراق وبادية الشام. وكانت في بداية القرن (13) الهجري؛ في حدود عام 1200هـ /1786م وما بعده؛ حيث أنَّ الأمير الدريعي بن مَشهور وابنه الأمير صحن قد وصلوا بالرولة إلى دير الزور؛ المدينة المعروفة شرق الشام، والموصل وجهات بغداد، وذلك في عام 1226هـ /1811م.

وفي هذه المرحلة انقطع اتصال قبيلة الرولة بنجد تدريجياً، فأصبحت حدود الرولة الجنوبية هي النفوذ جنوب منطقة الجوف إلى أطراف منطقة تيماء في الجنوب الشرقي، وشمالاً إلى مدينة حمص المعروفة، وصدق من أطلق عليهم هذه المقولة: (بعيدين الظعنة وسيعين الطعنة).

3- **نسب قبيلة الرولة وتفرعاتها** :

تُعد قبيلة الرولة من أكبر قبائل عنزة وأشهرها على الإطلاق، حتى إنَّ بعض الناس يظن أنها قبيلة مُستقلة، ويُجزئ الرويلي اسم الرويلي من غير أن يقول (العنزي) وذلك لشهرتهم.

- **نسب عنزة :**

تنحدر قبيلة عنزة الحالية من جدها عَنْز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعْمِيّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان، فعنز هو أخو كل من بكر بن وائل، وتغلب بن وائل، ودثار بن وائل، والشخيص بن وائل، والحارث بن وائل[1].

والرولة لقب سُموا به لأنهم يتراولون في المشي أي: يُسرعون[2]. واسمهم الزايد أو الجلاس نسبة لجدهم، وهم أبناء زايد بن الجلاس بن مسلم (أخو بشر) من عنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصي بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن إسماعيل عليه السلام. وحيث أنَّ عنزة الحالية هي الامتداد الطبيعي لقبيلة ربيعة، فإن قبيلة الرولة تنتسب لضنأ مُسلم وهو أحد جذمي عنزة الرئيسيين.

---

(1) كتاب النسب، أبو عبيد القاسم بن سلاّم (154– 224 هـ)، تحقيق: مريم محمد خير الدرع، دار الفكر، دمشق، ط1، 1989م ص: 346.

(2) الروال في اللغة اللُّعاب وخاصة لعاب الخيل، يُقال: فلان يسيل رواله. والمِروَل معناه الرجل كثير اللعاب. تاج العروس، الزبيدي، ج29، ص: 107. ويلفظها البدو (الرّوَلَة) بدون لفظ اللام. عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، ص: 368.

يقول العلامة حمد الحقيل صاحب كتاب كنز الأنساب: " عنزة العدنانية: هذه القبيلة من أكبر القبائل العربيّة على الإطلاق في وقتنا الحالي وفيها ملوك، وأمراء، وأعيان، وفرسان، وشجعان، وقُضاة، وأدباء، وشعراء أفذاذ " [1].

وفي الأنساب للسمعاني: " عنزة حي من ربيعة وهو عنز بن وائل أخو بكر بن وائل، وأخوهما تغلب " [2].

والقسم الكبير من عنزة منازلها تمتد من نجد إلى الحجاز، فوادي السرحان، والجوف، فالحماد، فالعراق فالبادية السورية حتى حمص وحماة وحلب، والجلاس يجمع الرولة والمْحَلف (بتسكين الميم وفتح الحاء) [3]، وهم الأشاجعة، والسوالمة، والعبد الله.

ويمكن تتبع انحدار قبيلة الرولة من عنزة الوائلية وفق التسلسل التالي:

تنقسم قبيلة عنزة إلى: ضنأ بشر، وضنأ مسلم.

ومن ضنأ مسلم ينحدر بني وهب والجلاس.

ومن الجلاس تنحدر قبيلة الرولة والمْحَلف، وهم: العبادلة والسوالمة والأشاجعة.

وتتفرع قبيلة الرولة الحالية إلى الفروع الرئيسية التالية:

أ- المرعض، وتنحدر منه أسرة الشّعلان، وهي بيت المشيخة والإمارة لقبيلة لرولة ولواحقها.

ب- الدغمان.

ت- القعاقعة.

ث- الفرجة.

ج- الكواكبة.

---

(1) كنز الأنساب ومجمع الآداب، حمد الحقيل، دون ذكر طبعة ومكان وتاريخ الطبع، ص: 37.

(2) الأنساب، السمعاني، المُحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1962 م، ص: 393.

(3) عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، ص: 359.



الفصل الثّاني

إمَارَةُ الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان
في قبيلةِ الرولةِ

- المبحث الأول: مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح.
- المبحث الثاني: التعريف بالدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان.
- المبحث الثالث: أعماله وإمارته لقبيلة الرولة.

المبحث الأول:

مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح

تعني كلمة الإمارة في اللغة: الولاية، وتُطلق أيضاً على منصب الأمير، وعلى جزء من الأرض يحكمه الأمير. والأمير هو من يتولى الإمارة، أو من يتولى أمر قومٍ وإمْرَتهم .

جاء في المعجم الوسيط : " أَمر عَلَيْهِم أمراً وإِمارة: صَار أَمِيراً.... الْإِمَارَة: منصب الْأَمِير، وجُزء من الأَرْض يحكمه أَمِير " (1).

ويظهر مفهوم الإمارة بأنه تولي أمر القوم وإمرتهم في حديث النبي ﷺ : " إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ " (2).

وأما في الاصطلاح: فيُقصد بها تولية الخليفة لأمير على ولاية معينة للإشراف على جميع المصالح التي تحت ولايته، كالشؤون الاجتماعية والعسكرية والسياسية والمالية والقضائية، وإقامة الحدود الشرعية، وحفظ عقيدة المُسلمين وأخلاقهم، وتيسير أمور الحجيج والمُعتمرين إلى بيت الله الحرام، وإمامتهم في الجامعات والجُمَع والأعياد.

وقد كانت الإمارة منصباً مُلحَّاً بعدما اتسعت دولة الإسلام، وتعددت الأقطار، فقد كان الخليفة يُفَوِّض إمارة بلد أو إقليم للوالي؛ أي الأمير، على جميع أهله، ويكون لهذه الولاية عقد يتم باختيار الخليفة ورضائه، ومن ثمَّ أصبح كل مَن يتولى أمر بلد أو قطر من الأقطار نيابة عن الخليفة يُلقب بالأمير أو الوالي.

---

(1) المعجم الوسيط: 1ج، ص: 26.

(2) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الجهاد، باب: في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، رقم (2610).

أنواع الإمارة:

والإمارة كما قَسَمها فقهاؤنا على نوعين: إمارة عامَّة، وإمارة خاصَّة، والإمارة العامَّة كذلك على فرعين:

الأول: **إمارة الاستكفاء**: وهي أنْ يُفَوِّض رئيسُ الدولة باختياره إلى شخص إمارة بلد، أو إقليم، ويَعْهَدُ إليه بالولاية على جميع سكانه، وعلى جميع شؤونه ومصالحه.

والثاني: **إمارة الاستيلاء**: ولا تكون إلَّا عندما يستولي رَجُلٌ على الإمارة، ويستبدُّ بالسُّلطة، ويخشى رئيس الدولة وقوع الفتنة إنْ هو لم يَقْبَلْ به، فعندئذٍ يجوز له أنْ يُقِرَّه على هذه الإمارة، ولا تكون هذه الإمارة إلَّا للضرورة.

وأمَّا الإمارة الخاصَّة: فهي التي تتحدَّد فيها سُلطات الأمير بصلاحياتٍ مُعَيَّنَة؛ كتدبير الجيش وسياسة الرعية، وحماية الإقليم، والدفاع عن المحارم، وليس له أنْ يتعرَّض للقضاء والأحكام وجباية الخراج والصدقات، ويُلاحظ أنَّ الإمامات كانت في صدر الإسلام عامَّة، ثمَّ بدأتْ تُخَصَّصُ بِتَوَسُّع الدولة وتَعَقُّد الجهاز الإداري، حتى أصبحت سلطة الأمير مقصورة على قيادة الجيش وإمامة الصلاة[1].

وهناك إمارة القبيلة؛ وتندرج تحت تكليف الحاكم لشيخها بإمارةِ قبيلتهِ، وقد يُسند الحاكم لأمير القبيلة مهمات أخرى مثل إمارة قبائل أخرى مجاورة لقبيلته أو مُتحالفة معها كما هي الحال في إمارة الدريعي بن مشهور لقبيلة الرولة وأتباعها من القبائل الأخرى.

(1) الأحكام السلطانية، الماوردي، دار الحديث، القاهرة، ص: 64.

المبحث الثاني:

التعريف بالدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان

عَرفت البادية العربيّة في القرن التاسع عشر الميلادي أحداثاً جسيمة في المجال السياسي والعسكري والاجتماعي سجلتها ووثقتها مصادر التاريخ العُثمانية والأجنبية والعربيّة. وقد برزت في خِضَمِّ هذه الأحداث رموز بدوية سَطَّرت فيها أروع صفحات المجد والرفعة والسمو، نظراً لما قدموه من تضحيات، وما أظهروه من بسالةٍ وشجاعةٍ وحكمةٍ في سياسةِ حُسن القيادة والتصرُّف.

ومن هؤلاء الرجال كان أمير قبيلة الرولة العربيّة في زمنه وشيخها العام.

1- اسمه و نسبه:

هو الأمير الدريعي بن مَشهور[1] بن منيف بن غرير بن محمد " الشّعلان " بن جُبران بن مرعض بن زيد بن جلاس بن مسلم، من قبيلة عنزة الوائلية العدنانية العريقة الأصل والمَحْتِدْ.[2]

2- **ولادته :**

ليس هناك مرجع واضح يذكر تاريخ ولادة أمير الرولة، ولكن المراجع والأخبار الكثيرة التي وردت عنه، تُقرب لنا تاريخ ولادته، فالمُرَجَّح أنه وُلد في عام 1760م /1173هـ أو قريباً جداً من هذا التاريخ تزيد أو تنقص قليلاً.

ويُستدل على هذا بما ذكره الرحالة " فتح الله الصايغ الحلبي[3] " صديق المُستشرق الفرنسي " لا سكاريس " في رحلته التي التقيا فيها أمير الرولة، وهو في قمة مجده، مُتربعاً على عرش إمارة قبيلة الرولة وتوابعها في العام: 1811م /1225هـ.

(1) انتقلت مشيخة الرولة للدريعي من والده مشهور بن منيف الشعلان.

(2) مُقابلة مع عدد من شيوخ قبيلتي عنزة، وشمر، بيروت سنة: 1990، وباريس سنة: 1991م.

(3) شاب عربي سوري يُدعى فتح الله الصايغ، ولِد بحلب بحدود سنة: 1790 م، قام برحلة نحو عام: 1810م استغرقت سبع سنوات، تجول خلالها في بادية الشام وصحارى العراق والعجم وتجاوزها إلى حدود

وقد وصف فتح الله الصايغ أمير الرولة قائلاً: " وجلسنا مع الدريعي (بن مَشهور بن منيف الشّعلان) نتحدث، وهو رجل ذو نخوة زائدة، عمره نحو خمسين سنة لحيته بيضاء، جسيم، أسمر اللون، جريء، وجميع ما سمعناه عنه موجود به " [(1)].

وهذا يتطابق مع أحداث الدريعي المُلتهبة في تلك الفترة، وهذا التاريخ أقرب ما وُجِدَ في تاريخ ولادة أمير قبيلة الرولة.

وذكر بعضهم أنَّ ولادته كانت عام 1180هـ /1766م تقريباً لكن الرواية الأولى أقوى.

إيران الشرقية، حيث قابل الأمير سعد البخاري، رئيس قبائل عرب الهند، ثم قطع الحَماد وزار الدِّرْعِيَّة عاصمة السعوديين يومئذ، هذا الكتاب هو مذكرات هذا الشاب في سياحته، فيتحدث عن بداية معرفته وعلاقته بتيودور لاسكاريس، ثمَّ يصف لنا بدقة العادات والأعراف البدوية وعن القبائل التي اتصل بها، وذكر أسماء شيوخها وعدد مُقاتليها، وتكلم عن السعوديين وحروبهم وغزواتهم، كما وصف لنا ببراعة عدداً من البلدان والقرى السورية، مثل: معرة النعمان، حماه، حمص، القريتين، صدد، الرستن، تدمر، وقصر الحير الغربي، وأخيراً تجدر الإشارة إلى أنَّ هذه المذكرات (رحلة فتح الله الصايغ إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربية) تُرجمت إلى الفرنسية على يد الشاعر الرومانتيكي لامرتين عندما اشتراها عام: 1832م وصدرت عام: 1835م. الغلاف الخارجي لكتابه " رحلة فتح الله الصايغ".

الحقيقة أنَّ الصايغ كتب أولاً رحلته التي اشتراها لامرتين سنة: 1832م وصنف بعد عشر سنوات الكتاب الذي ذكره الزركلي، وهو ضعيف المادة قليل الفائدة، بخلاف رحلته التي نالت إعجاب لامرتين حتى أنه حرص على أنْ تُكافئ الحكمة الفرنسية مؤلفها " لأجل الخدمات التي قدمها مؤلفها لخدمة الجغرافيا وأخلاق الأمم" فعينته وكيلاً لقنصليتها بحلب سنة: 1817م.

وهذه ترجمة الزركلي للصايغ (أو الصائغ) إذ يقول : " الصّائغ (توفي بعد 1259 هـ = بعد 1843 م): فتح الله بن أنطون الصائغ: باحث حلبي. كان تُرجماناً للقنصلية الفرنسية. ورحل من حلب في أواخر سنة: 1225 هـ (1810 م) إلى بادية الشام، مع المُسمى تيودور لسكاريس، فصنف بعد الرحلة كتاب " المقترب في حوادث الحضر والعرب" بخطه، في التيمورية بتاريخ (2106هـ) 100 صفحة. الأعلام، الزركلي، ج5، ص: 134.

(1) رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربية، ت: د. يوسف شلحد، دار طلاس، دمشق، ط2، 1994م، ص: 102.

3- **أُسرته:**

يعود نسب الشّعلان ومنهم أمير الرولة الدريعي إلى جدهم الأعلى محمد- والذي لُقب بالشّعلان- بن جبران بن مرعض بن جمعان بن زايد بن جلاس -الرولة- بن مسلم العنزي الوائلي الربيعي العدناني.

هذا وقد أعقب محمد سبعاً من الرجال، وهم:

روضان، فنيخ، دقية، سالم، غرير، سُليمان، جابر وقد أعقب كل واحد من هؤلاء أولاداً وأحفاداً مَشهوداً لهم بالشجاعة والكرم. وتُعد عائلة الشّعلان شيوخ عموم الرولة في البلاد العربيّة. أما عن أماكن وجودها فهي تُوجد في معظم بلاد الخليج العربيّ وبلاد الشام[1].

وذكر لنا بعض الشيوخ أن أمير الرولة الدريعي بن مشهور له عدة أولاد منهم: سُعدون، وصحن، وفواز، وحسن، وحسين، ومحسن....

4- **نشأته:**

وُلد الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان في بادية نجد، وتولى إمارة ورئاسة قبيلة الرولة في سنة: 1797م تقريباً.

و تُشير المصادر العُثمانية الرسمية وكتب المُستشرقين في الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي إلى أنَّ تاريخ قبيلة الرولة كان طافحاً بأخبار الغزوات والحروب والمحن، وبروز قبيلة الرولة قوةً عسكرية كبيرة في منطقة البادية العربيّة المُمتدة من نجد إلى العراق إلى بلاد الشام، كان لها تأثير كبير في مُجريات الأحداث السياسية على الصعيد العربيّ والإقليمي والعالمي التي تدور في فلك واقع البلاد العربية ومستقبلها.

ويُشير المؤرخ محمد البسام المُتوفي سنة: 1246هـ في كتابه: " الدُرر المفاخر " أنَّ الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان في ذلك الزمن كان أميراً لقبيلة الرولة وشيخها

(1) لمزيد من الاطلاع انظر كتاب: عشائر الشام، وصفي زكريا، ص: 433. وكتاب البادية بين عراقة الماضي وأصالة الحاضر، محمد الخالد الشرعبي العنزي، الجزء الثاني، دمشق، 1996م.

العام ؛ (شيخ الباب وشيخ الشداد) مع لواحقها من عشائر المحلف. وجميعهم يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، فهو مرجعيتهم في السلم والحرب على حد سواء.

وفي ذلك يقول المؤرخ محمد البسام: " الرولة شيخهم الدريعي المَشهور [1] وهذه القبيلة أطول باعاً في الكرم، ورَعْيِ الذِّمَم، والمواساةِ للعائل، ولارتكاب الفضائل، والطعنِ في المضائق، والضرب في المَفارق، أولئك المجد عليهم أجمل، وأخبارهم في المكرمات أعرض وأطول " [2].

وقد ذكر جان سوبلان أمير الرولة الدريعي المشهور في كتابه " لاسكاريس العرب"، حيث أشاد بحسن قيادته لقبيلة الرولة وتمثيلها أمام الأحلاف القبلية الصديقة منها والمُعادية، كما ذكر مقابلة الدريعي للإمام عبد الله بن سعود رحمه الله في عاصمته التاريخية الدِّرعيّة.

يقول لاسكاريس واصفاً الرولة وأميرها: " إن القبيلة البطيئة التي تُدعى (الرولة)، والمُعتادة على قضاء الصيف فيما بين النهرين، والشتاء في منطقة الجوف، على حدود جزيرة العرب، قد تجاوزت مناطقها التقليدية لأسباب مجهولة، إنها تزرع الفوضى في كل مكان تقريباً على ضفاف الفرات، أميرها المدعو - الدريعي بن مَشهور - ابن شعلان يُعظِّمه الناس لحذقه ومهارته، ولتطلُّعاته الاستراتيجية الواسعة.

لقد هزم جيشاً من الخَيَّالة الأتراك أمام بغداد، بعد قطعه الطريق على القوافل التجارية التي تسلك طريق الحرير وكان تحت سلطته وسيادته، إنَّ عداوته للباشوات الأتراك تبدو عميقة، وهي توقِظ حُباً له بين شباب القبائل الأخرى، مما اضطر بعض الأمراء بضغط من رعاياهم إلى الانضواء تحت راية الرولة " [3].

---

(1) هو الأمير الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان.

(2) الدُّرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، محمد البسام، ص: 153.

(3) لاسكاريس العرب، جان سوبلان، ص: 134، 135.

أيضاً ذكره موزيل في كتابه " أخلاق الرولة " بما يلي: " في الأيام السالفة (مطلع القرن التاسع عشر) كان للرولة شيخ عام[1] يُسمى الدريعي الشّعلان، وكان يَشْتَهِرُ بالبسالة وله صيت بالفُرسة ".

وذكر لاسكاريس أيضاً في الكتاب الشهير(لاسكاريس العرب) زواج الأمير الدريعي من شقيقة وزير حاكم الدِّرعيّة ابن سعود رحمه الله[2].

5- صفاته وأخلاقه:

كان من الرجال ذوي الأخلاق الفاضلة، والنخوة الزائدة، والصفات الحسنة التي مَكَّنَتْهُ من قيادة قبيلته سنوات طويلة، فهو رجل حكيم يقوم بواجب الضيافة على أحسن وجه، ولا يمنعه من ذلك اختلاف الدِّين بينه وبين ضيفه، وقد حدث ذلك مرتين عندما حلَّ عليه ضيفاً فتح الله الصائغ أو (عبد الله الخطيب) الرجل النصراني الحلبي، وكذلك عندما حلَّت عليه ضيفة ماري تيريز المرأة المسيحية البابلية العراقية، لذلك سأذكر في الفقرة الآتية تجربة كل منهما، وما لاقوه من حسن الضيافة والترحاب، والاهتمام الكبير من أمير الرولة.

6- التسامح الدِّيني عند الدريعي بن مَشهور بن منيف الشعلان واحترامه جميع الطوائف والأديان:

وتلك مزية عظيمة اتصفت بها قبيلة الرولة في عهد أميرها الدريعي، وهي مزية سائر العُربان أنهم لا يسألون الشخص عن دينه، بل يحترمونه ويقدمون له واجب الضيافة والحماية، ويحاربون كل من يحاول الإساءة لأحد بسبب دينه أو مذهبه.

وهذا ما نراه واضحاً في القصتين الآتيتين ممن عاش مع أمير الرولة، وعاين أخلاقه السامية.

---

(1) شيخٌ عام تعني: شيخ الباب (أي المشيخة)، وشيخ الشداد تعني: (عقيد القوم وفارس القبيلة و قائد الجيش في الحرب).

(2) لاسكاريس العرب، جان سوبلان، ص: 180.

أ- الصايغ و أمير الرولة :

يقول الصايغ - وهو رجل نصراني - عاش مع الدريعي الشيخ العام للرولة مُدة طويلة من الزمن وكان مُستشاره وكاتبه : " ثم ثاني يوم نفذ علينا شيخ علم من دمشق عليه دنبكية[1]كبيرة خضراء في رأسه معصوبة بمنديل، ثيابه بيضاء في رقبته مسابح، عيونه مُكحلة، كبير اللحية، في زناره محبرة وعُبُّه[2]مليء بالكُتب، وهو راكب على بغلةٍ وفي يده حَرْبة. فدخل بيت أمير الرولة وسلم على المذكور وعلى جميع الحاضرين، وأخذ يتكلم بأمور الدِّين ويُرشدهم ويزرع في قلوبهم الرفض والوَرَع، وهذا شيء يُخالف طبائع العرب لأنهم لا يريدون أنْ يتكلموا بأمور الدِّين، وعندهم جميع الملل بالسوية ولا يسألون قط أحد عن دينه، وعندهم جميع الناس خَلْقُ الله وحالهم واحد.

وهذه أحسن الخصال التي وجدناها عند العرب، لأنه إلى اليوم لمْ يسألنا أحد أأنتم إسلام أم نصارى؟، ولكننا نحن في أثناء الحديث نقول إننا نصارى، ولو كانوا مُترفضين وعندهم ورع مثل أهالي المدن، لما كنا استطعنا أنْ نعيش معهم يوماً واحداً " [3].

ب- ماري تيريز وحسن ضيافة أمير الرولة لها :

وهذه تجربة أخرى من رحالة بغدادية تُدعى ماري تيريز، وهي امرأة مسيحية عاشت فترة من الزمن في قبيلةِ الرولة، حيث التقت بأميرها الدريعي بن مَشهور وأُعجبت بصفاته وشهامته وأخلاقه وشجاعته ورجولته، لم يمنع اختلاف الدِّين أنْ يستقبلها أحسن استقبال إلى درجة أنها بكت عندما فارقت القبيلة، فقد وصفت حُسن الاستقبال، ثمَّ وصفت خيمة أمير الرولة الدريعي، كما وصفت الخيمة التي

---

(1) لفظة تركية وتعني: عمامة ملفوفة مدورة تدل على بركة حاملها وطهارته.

(2) العب: الكُم، جمعه: أعباب المعجم الوسيط، ج، ص: 579.

(3) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 124.

أُعِدَّتْ لتبيت فيها، والطعام الذي قُدِّم إليها، وتحدثت عن الكرم الذي يتحلى به أمير الرولة وقبيلته، وأبدت إعجابها الشديد بنساء القبيلة وبأخلاقهن.

قررت ماري تيريز الخروج من بغداد إثر إغلاق مدرستها التي افتتحتها لتعليم النساء وإخراجهن من الجهل إلى نور العلم، وكان من أغلقها جماعة من المُبشرين الأوروبيين الذين يسكنون بغداد، لأنهم يُعارضون مثل تلك المدارس التعليمية، وهذا ما أبدى استغرابها الشديد، ولذلك فهي تُقارن بين التعصب الذي أبداه المُبشرون الأوربيون تجاه مَشروعها التعليمي، وبين التسامُح الدِّيني الذي لقيته من رجل الصحراء شيخ الرولة– الذي يُوْصَف هو وأمثاله في الغرب بأنهم جاهلون-، وتدعو المُبشرين المسيحيين الأوربيين المُتحضرين أنْ يتعلموا التسامح الدِّيني من رجل الصحراء أمير الرولة.

هنا قررت ماري تيريز الخروج من بغداد والاختلاء بالصحراء فتقول في كتابها " ماري تيريز أميرة بابلية " :

" لذا قررت أنْ أختلي في الصحراء، إذ إنَّ الصحراء تمنحُنا ضميراً حياً نقياً. قررتُ الابتعاد واللجوء إلى الصحراء النقية حيث يكون العدو عدواً، لا ذئباً يرتدي ثوب الحملان، ولن يخدعني مَنْ شاركته الخُبز والمِلح " [(1)].

هنا قررت ماري أنْ تبعث برسالة إلى أمير الرولة الدريعي والذي كان على معرفة سابقة بوالدها، فتصف شهامته في استقبالها وحسن ضيافته لها فتقول: " قررت أن أبعث برسالة إلى الشيخ دريعي (Dryaah) في مضاربه بين بغداد وبابل، والذي كان على معرفة بوالدي ويتعامل معه، ولقد استضافه والدي عدة مرات، ولم أشك بأن رسالتي ستلقى الترحاب منه، لذا كنت أستعد لهذه الرحلة، ولم يَخِبْ ظني إذْ إنَّ **رئيس القبائل**[(2)] اسمه الدريعي - بن مَشهور- الشّعلان (Dryaah Ebn Shalan) أرسل ابنه وابنته لأخذي إلى مضاربهم، وما إنْ رأيتُهما حتى أوشكتُ على البُكاء،

(1) ماري تيريز أسمر أميرة بابلية، ترجمة أمل بورتر، ص: 77.

(2) وهذا الاستشهاد من ماري تيريز يُشير إلى أنَّ أمير الرولة الدريعي بن مشهور الشعلان كان قد حصل على لقب: (دالي باش) من الدولة العليا العثمانية؛ أي هو الرئيس المُطلق في منطقته، بمعنى رئيس القبائل.

وغمرني شعور عميق بالامتنانِ لهذهِ الشهامةِ بالقياسِ إلى ما عانيته من قهر من ذاك الرجل الأوروبي الذي لا بُدَّ أنْ ينظر إلى رئيس هذه القبيلة على أنه بربري وخارج على القانون.

كان قَبول البدو لي شُعاعاً نافذاً من الفردوسِ بَعْدَ مُعاناتي وأحزاني التي سببها رجل البعثة التبشيرية، بمرافقتي للفارسَيْنِ توجهنا نحو مضاربهم، شعرتُ كأنني أتجه نحو والديْ، كنت أعتمد على حسنِ ضيافتهم وعزتهم وشرفهم وتمسكهم والتزامهم بوعودهم.

ولم نكد نشعر إلا ونحن في مضاربهم قرب بابل القديمة، على ضفاف الفرات، تمَّ اختيارهم لهذا الموقع لخصوبة الأرض وغزارة حشائشها ونوعية أعشابها المُمتازة، ومهما وصفتُ فلنْ أستطيع أنْ أَفِيَ حق حفاوة الاستقبال الذي لقيته. وحال وصولي لخيمة الدريعي ابن شعلان (Dryaah Ebn Shalan) قُدِّمْتُ إلى زوجته وقريباته بطريقة تُشير إلى كثير من مظاهر التكريم لي والاعتزاز بي " [(1)].

وأول منظر استرعى انتباهها هو : " امتداد الخيم على مدِّ البصر، وأعداد لا تُحصى من قطعان الماشية والأغنام والجمال التي كانت ترعى في تلك البراري، ولا جبال ولا أشجار تكسر هذا الامتداد، أرض خلاء مُمتدة واسعة لا حدود لها.

كُنَّا في أيار وتطغى الخُضرة الطرية لفصلِ الربيعِ وتَيْنَعُ من بينها زهور مُلونة، ونهر الفرات بأمواجهِ الهادئةِ، ويبدو المنظر كأنه حدقات العيون المَرِحَة للشباب في أيام الصبا، ويبدو المكان وكأنه موقع وموضع للبراءة والسلام، وقلت لنفسي: هل هناك أنجع من هذا المكان لعلاج النفس المُنكسرة؟ وإلى أين تلجأ النفس المُضطهدة لتنال الراحة والسَّلام؟ أليس إلى هذا المكان؟ حيث هو مرتع للسَّلام والأمان، حيث الطبيعة كما هي في بساطتها وأول انبثاقها قبل أنْ تأتي يد الإنسان وتفسدها أو تدمرها.

(1)ماري تيريز أسمر أميرة بابلية، ترجمة أمل بورتر، ص: 77، 78.

إنَّ الإحساس بالحرية والوعي بأنني قد تحررت من عبودية المدينة وأسوارها التي اقترنت بتجربتي القاسية مع المُبشر الأجنبي والقهر والقمع الذي عانيت منه [1]، جعلني ذلك كله أشعر كأنني قد سُمِّمْتُ. لم أحس بهذه المرونة الروحية إلا في ذلك اليوم الذي تمشيت فيه على ضفاف دجلة مع والدي " [2].

ثمّ تصف خيمة شيخ الرولة الدريعي فتقول : " كانت خيمة رئيس العشيرة أو الشيخ واسعة رحبة جداً، وكانت تتوسط المضارب ويبلغ طولها حوالي سبعين قدماً، ومنسوجة من وَبَرِ الجمال الأسود[3].الخيمة مُقسمة إلى ثلاثة أقسام: الوسطى لزوجة الشيخ الدريعي ومرافقاتها، والخلفية للخدم والطبخ وخُزُن المُستلزمات الضرورية، والأمامية للشيخ الدريعي لاستقبال زُوَّارِهِ والأغراب الذين يرومون الزيارة أو الالتجاء، وأيضاً غرفة الاستقبال " [4].

وعن طبيعة الحياة في خيمة الشَّعْرِ تصف ذلك فتقول : " بدأتِ الاستعدادات لتوفير مكان مُلائم لي في قسمِ النساءِ، وكان عليَّ تعليق ستارة لتمنحني بعضاً من الانعزال عن بقية النساء. وكذلك كي لا أُسبب مُضايقة أو إحراجاً أو نفوراً لأية امرأة إذا ما مارست طقوسي التعبدية الدِّينية. يجب أنْ أُقِرَّ بأنني أُصبت بقليل من الاضطراب بطريقة النوم على الأرض على سجادة بلا سرير لعدم تعودي ذلك، ولخوفي وارتعابي من الحشرات والزواحف، منذ طفولتي اعتدت النوم على سرير مصنوع من سعف النخيل، ولم يخطر في بالي أني سأستعيض عن سريري بسجادة، ولحسن الحظ لا توجد عقارب هنا كما في بغداد، حيث أنها كانت تتسلق وتصعد الأسِرّة المصنوعة من جريد النخيل محاولة لسع النائم بذَنَبِها السام " [5].

(1) تقصد أنَّ هذا المُبشر هو من تسبب بإغلاق مدرستها التي أنشأتها لتعليم نساء بلدها وإخراجهن من الجهل إلى نور العلم، وقد ذُكِرَ ذلك سابقاً.

(2) ماري تيريز أسمر أميرة بابلية، ترجمة أمل بورتر، ص: 79.

(3) تُصنع الخيام عادةً من شعرِ الماعزِ.

(4) ماري تيريز أسمر أميرة بابلية، ترجمة أمل بورتر، ص: 79.

(5) المرجع السابق، ص: 79، 80.

أما وجبات الطعام التي كانت تُقدم من قبل شيخ الرولة الدريعي فهي : " وجبة مقبلات لذيذة من التمر المقلي بالزبدة والبيض، ونشربُ حليب النوق. إنها أكلة شهية جداً " [1].

بعد ذلك وصفت ماريا تيريز الطبيعة الصحراوية قائلة : " بعد هذه الوجبة الخفيفة، ذهبنا نتمشى تحت السماء الرحبة الصافية والهواء العليل والطبيعة في أبها حُلَلِهَا. سِرنا على جرفِ نهرِ الفراتِ (NAHR AL FRAAT). صادفتنا قطعان من الغزلان الجميلة يزيد عددها على الألف، تسرح وتمرح في هذه المنطقة.

وهذه الغزلان لحمها لذيذ جداً، والبدو يستطعمونها ويقدمونها في الولائم. يشبه الغروب في الصحراء الغروب في البحر، حيث يتلقف أفق الصحراء أو البحر الشمس تدريجياً ويبتلعها " [2].

وعن استقبال شيخ الرولة الأمير الدريعي بن مَشهور لها وما قُدِّم لها من طعام في وجبة العشاء فتقول : " حان موعد عودتنا إلى المضارب حيث استقبلنا الشيخ في خيمته وقد أعد وليمة. لم تتصف مائدتنا بميزة الموائد المُعدة وفقاً لمواصفات المطابخ، ولكنها لم تعدم أصنافاً جيدة جداً. وحتى من كان صعب الإرضاء لا يستطيع أنْ يقول إلا أنه قد تمتع بوجبة مُشبعة من لحوم الأغنام والحملان والغزلان، والأخيرة هي أكلتي المُفضلة.

بالإضافة إلى ما سبق -وخلال إقامتي مع البدو- لم أستطع أنْ أُوَطِّنَ نفسي على وجبة وأنْ أستسيغها، وهي ساقُ جَمَلٍ مُحَمَّرَةً كانوا يشتركون في التهامها بشهيةٍ، في الحقيقة يكون هؤلاء العرب مُستعدين لوجبتهم بشهيةٍ عاليةٍ بعد الجهود البدنية الشَّاقة التي يُزاولونها.

(1) المرجع السابق، ص: 80.

(2) المرجع السابق، ص: 80.

قُدِّمَتْ بعد العشاءِ أصنافٌ من الفواكه، وكنت قد جلبت معي كميات من الليمون والتمر واللوز، علاوة على الكعك والفواكه المُجففة والمحفوظة بالسكرِ، ولهذا فقد ساهمت بجزء من الوليمة " (1).

أمَّا عن طريقةِ أكل البدو فتقول : " يأكل البدو بأَكُفِّهِمْ ولا يستعملون الشوكة أو السكين. يقولون: لِمَ أعطانا الله فَماً وزوجاً من اليدين؟ تُسْتَخْدَم هذه الأعضاء بالتوافق مع بعضها، فلماذا نُخرِّب عمل الروح الخالدة بتعويد أنفسنا على استعمالِ أدوات غريبة من المعدن أو الخشب؟ هل سيحتقر السِّنَّ الإصبع ؟ أم سيزوغ الإصبع عن طريقِ السّن؟ وأي شوكة تتساوى مع الشوكة الطبيعية، وهي كفُّ الإنسان؟ هكذا يتكلم البدو، فهل ماتوا جوعاً في الصحراء؟ ألمْ تُعَدُّ سنين وجودهم بعدد ذرات رمال الصحراء، وتجري في عروقهم دماءُ العافيةِ، وفي عقولهم مُلَحُ الحكمة؟.

ما بَرِحَ البدو يأكلون بأيديهم، وأمَّا أنا إذا لمْ أتعود على هذهِ الطريقةِ في الأكلِ فكنتُ قد جلبت معي مِلعقة، ولكنني احتراماً لهم لمْ أستعملها وشاركتهم طريقتهم في الأكلِ، إلا أنَّ أصابعي ولسوء الحظ قد أصابتها لسعة حرارة الطعام الساخن جداً " (2).

أمّا بعد العشاءِ فقد " قُدمت القهوة وشعرت بالسعادةِ... " (3).

والبدو يرفضون التدخين في ذلك الوقتِ، ويُسمون التبغ: النبتة الملعونة، وكانت ماريا على عكسِ ذلك، فهي مُدخنة أصيلة للنرجيلة وجَلَبَتَها معها، لكنها كانت على استحياء من أمرها، ففَطِن إليها الشيخ وشجعها على تحقيق رغبتها احتراماً لها فتحقق ذلك، تصف ذلك قائلة : " وبما أنَّ البدو يرفضون التبغ ويسمونه النبتة الملعونة، ويمنعون استعماله تماماً، شعرت بشوق إلى النارجيلةِ وقد جلبتها معي، لكن احتراماً للموقف امتنعت عن تدخينها كي لا أسبب إحراجاً للبدو، إلا أنَّ الشيخ

(1) المرجع السابق، ص: 80، 81.

(2) المرجع السابق، ص: 81.

(3) المرجع السابق. ص: 81

كان يعرف أنني أدخن النارجيلة، فقد شاهَدَنَا نفعل ذلك في بيتنا، وطلب مني عدم الامتناع، بلْ شجعني على أنْ أُدخن. لم أستطع أنْ أرفض كرمه هذا. تُرى لو أنَّ هذا الرجل كان من الحضارة الأوربية، فهل كان سيفهم الموقف ويسمح لي بالتدخين؟ لا أعتقد أنَّ الأوروبي سيكون في غاية الأدب مثل هذا البدوي " [(1)].

ثمَّ تصف ماري تيريز حلقة مجلس العشيرة بعد العشاءِ فتقول : " بعد انتهاء العشاء - وبحسب التقاليد المرعية - تحلَّق الجميع في حلقة واسعة، وبدأ كل واحد بحسب دوره في حكاية " سالوفة " وأغلب مواضيعهم كانت تدور على الخيول الأصيلة، أو حادثة هَرَبٍ بشق الأنفس من مُقابلةٍ مع قبائل مُعادية أُخرى، وكانت تتخلل القصص أغانٍ، وغَنَّى أحدهم أغنية بصوتٍ منخفضٍ عذبٍ، ما يدل على أنَّ القبائل العربيّة المُترحلة لا تَعدم الموهبة الموسيقية... ما إنْ حلَّت الساعة الحادية عشرة حتى تفرَّق الشَّمل، وذهب كلٌّ إلى خِبائهِ، والشيخ وعائلته وضيوفه إلى خيمة الشيخ.

خلال طقوس حكايات القصص والغناء لم يُطلق أحدهم أيّ تعليق قد يخدش الأسماع، أو يُسبب الامتعاض لأيٍّ كان، في حال كانت كل القصص تروج للأخلاقِ الحميدةِ والعالية، وكل هذا نابع من بساطة وسمو خُلُق البدو " [(2)].

وتُبدي ماري إعجابها بالمرأة البدوية وبأخلاقها في قبيلةِ الرولةِ فتقول: " استطعت أنْ أحظى بإعجابِ زوجة الشيخ ووالدته، إنَّ النساء البدويات من النساءِ المُفضلات والمُحبذات، سمراوات البشرة، طويلات القامة أجسادهن مُكتملة ومُلتفة كجذع النخلة، ولا يستخدمن المشدات لضغط أجسامهن، أياديهن وأكفهن وأقدامهن ناعمة رقيقة وصغيرة تدلّ على سمو أصولهنّ.

---

(1) المرجع السابق. ص: 81.

(2) المرجع السابق. ص: 81.

وقد يبلغ طول الواحدة منهن خمسة أقدام وستة عُقَد (إنش)، وشعرهنّ أسود حالك وطويل، وقسم منه مَرخي إلى الخلفِ يُغطي أكتافهن، والقسم الآخر مقصوص ويُغطي جباههن بطول إنشين (عقدتين)...

أحترم سمو أخلاق الرجل البدوي، ولكن أخلاق المرأة البدوية أعلى خُلقاً وأدباً وشجاعة وتحمُلاً، ولا تَقِلُّ شأناً عن الرجل البدوي أبداً، في حين أنها تفوق الرجال من ناحية الثقافة والذكاء وطيبة القلب مع بنات جنسها من غير تفريق في المستوى الطبقي أو الدِّيني. إنني أقول هذا من مُراقبتي لهنَّ ومن تجربتي معهنَّ، أولئك بنات الصحراء، وأودُّ أنْ أُبدي امتناني لهنَّ امتناناً لنْ يمحوه الزمن " [1].

وعن التسامح الدِّيني عند البدو تقول : " لم يُسبب كوني مسيحية الإهانة لي أو الأذى وأنا بين البدو، رغم أنني لمْ أقمْ باستعراضٍ لطقوسي أو لديني أمامهم، بلْ كنت أمارس تعبدي في خلوتي كي لا أُسبب لهم الإحراج.

إنهم يعتقدون أنَّ البشر إخوة يُساعدُ أحدهم الآخر، ويرفضون القَبول بكلِّ فكرٍ استباقي غامض الدلالة، أو فكر أو عقيدة دينية بهذا المنحى، يرفضونه بكثير من الازدراء - إنْ لم يكن بالمقت أو الكره- ولا يتوانون عن الإعلانِ عن ذلك لكلِّ من يُحاول أنْ يُزعج ويشوش أفكارهم بأنهم لا يرتاحون لهذه الأمور أبداً.... " [2].

وعن إيمان البدو بالله ذلك الإيمان الفطري تقول : " إنَّ البدو العرب يؤمنون بالله الواحد القدير خالق كل شيء، وأنَّ الخير من عند الله، كما أنَّ المصائب تأتي لعدم رضا الله، ولذا فهم لا يتذمرون منها، بل يقبلونها على أنها أمر من الله، ويعتقدون أنَّ البشر كلهم سواسية... " [3].

وعن الشهامة العربيّة عند البدو في صداقتهم وإغاثتهم للضيفِ والملهوفِ تقول مقارنة بين الرجل البدوي والرجل الأوربي المُتحضر: " بعد أيام من بقائي مع عشيرة

---

(1) المرجع السابق، ص: 85، 86.

(2) المرجع السابق، ص: 86.

(3) المرجع السابق، ص: 87.

الدريعي (Dryaah) تعرفت على شخصيات رئيسية من قبائل مجاورة، إذْ بادلتهم الزيارات، وتلقيت منهم الترّحاب الشّديد يدعوني إلى البوحِ بأنَّ مِنَ المُمكنِ إقامةُ علاقة صداقة حميمة - وخلال يوم واحد- مع الكثير من هؤلاء الذين يُعْتَبرون من الخارجين على القانون، في حين لا يُمكن إقامة علاقة صداقة في أوروبا المُتحضرة.

ومن المُمكنِ أنْ تسكن في أوربا نصف قرن من دون أنْ تَعرِف من هم جيرانك. ومهما كانت نقائص أخلاق البدوي إلا أنَّ الصّداقة الحميمة ليست واحدة، وما إنْ تُوثق عرى الصداقة حتى تكون أبدية مهما تغيرت حظوظ الأصدقاء وتقلبت أحوالهم فالصداقة أبدية، حتى أعداؤهم لو انقلب بهم ظهر المِجَنّ فإنَّ أبواب الضيافة ستكون مُشرعة لهم.

حصلت هذه الحادثة وأنا مع البدو، إذْ إنَّ غريباً حلَّ ضيفاً على هذه العشيرة، وبعد أنْ ترك مضافاتهم وجد نفسه تحت حماية قبائل مُجاورة، بحيث أُسيئت مُعاملته، وقُتل عبده الأمر الذي حدا بقبيلة الدريعي (Dryaah) إلى إعلان الحرب والثأر للرجل الذي كان ضيفاً عندهم. وحدثوني عن قصة الأرملة التي لمْ تكن تملك غير خروف واحد، وذبحته لتطعم غريْبَيْنِ من الهند كانا في طريقهما إلى دمشق." (1).

وأخيراً تقول قبل وداعها لصديقاتها البدويات اللواتي قضت معهنَّ ستة أشهر، وكيف ودعت شيخ الرولة الدريعي : " قبل أنْ أقول الوداع لأصدقائي البدو، سرحت أتجول في خرائب بابل، أعظم ممالك العالم، والتي كانت فخر الكلدانيين. هذه المدينة التي عُدَّت أعظم المدن بالنسبة إلى جميع الشعوب.

حين كانت خطواتي تصد الكثبان المُتبعثرة وكِسَر الفخار المنتشرة، كان هذا كل ما بقي من بابل مملكة المدن، هُنا استقر رأيي في هجرِ خيمة مضيفي الشيخ الرحوم الدريعي الشّعلان (Dryaah Ebn Shalan) وأنْ أتجه بخطواتي نحو فلسطين.

---

(1) المرجع السابق، ص: 89، 90.

وما إن وصلت المضارب حتى توجهت مُباشرة إلى خيمةِ مضيفي لأُعلنَ له عن رغبتي. أبدى أسفه لأنني قررت الرحيل بهذه السرعة، ولكنه قال: إن كان هذا هو المصير الذي قد كُتب عليَّ فلا فائدة من اعتراضه على سفري " [1].

ثمَّ أخَذَتْ تبكي لفراقهم، وأقنعت نفسها على أملِ أنْ تلتقي بهم فقالت لهم : " الوداع يا أصحاب القلوب البسيطة، يا أولاد الصحراء، أودعكم وأترك خلفي فضائل عميمة وكثيرة " [2].

ثمَّ أكدت أنَّ الله ليسعده أنْ يرى شجاعتكم المَهيبة، وصبركم واحتمالكم وصداقتكم الممتازة وكرم ضيافتكم، وأنْ عِفَّتَكُمْ لا غُبار عليها رغم أنكم تؤمنون بالسَّلْبِ والنَّهْبِ، وأنَّ أغلب عملكم في قَطعِ الطَرِيقِ، وبهذا فكان تقييمها للبدو بهذه الميزات بأنهم يفوقون كل البشر الأحياء في مشارقِ الأرضِ ومغاربها، وكانت على ثقةٍ بأنها سوف لنْ تجد مثلهم في أماكن أناس متحضرين[3].

7- شجاعته:

عُرِف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بفروسيته وشجاعته، فكان لا يهاب أحداً لا في معركة ولا في غيرها، وكان الناس يهابون لقاءه، ومما اطلعت عليه من شجاعته ما ذكره فتح الله الصايغ في كتابه " رحلة فتح الله الصايغ الحلبي " حين كان مُرافقاً لأمير الرولة في مُقامه وسفره وحروبه.

وهذا موقف يشهد على شجاعة أمير الرولة، وشدة بأسه في الحروب، وعدم خوفه من أيِّ شخصٍ يتحداه، ففي أوقات الراحة في المعارك يتقدم إلى الميدان فارس يطلب المُبارزة من شخص بعينه، وهذه من عادات العرب في النِّزَال، فإنْ لم ينزل يكون ذلك عاراً عظيماً.

(1) المرجع السابق، ص: 100، 101.

(2) المرجع السابق، ص: 101.

(3) المرجع السابق، ص: 101، 102 بتصرف في العبارة.

ولنستمع إلى الصايغ يصف ما حدث في هذه المُبارزة في إحدى المعارك فيقول تحت عنوان: فارس يطلب الدريعي للمُبارزة: " ثمَّ وفي تلك الغضون، إذ نزل إلى الميدان فارس من فرسان العدو مُدَرَّع، في رأسه خوذة من البولاذ[1]، وأنف نازل على وجهه من البولاذ، وعكس صفائح البولاذ، وقميص زرد بولاذ وجزمة بولاذ، الفرس مُدرع أيضاً، فهذا اسمه مدرع.

وكان عندهم من هذا الشكل عشرون واحداً، وكان عندنا اثنا عشر فقط، فنزل الفارس المُدرع المذكور إلى الميدان وطلب الأمير الدريعي بن مَشهور، وهذه عادة قديمة عندهم كان من ينزل الميدان يَطلب الشخص الذي يُريده. وعلى المطلوب أنْ ينزل، وإنْ لمْ ينزل يكون ذلك عاراً عظيماً عليه.

وحين سمع أمير الرولة ذلك الطلب نهضَ قائماً حتى ينزل إلى الميدان، فما استصوبنا نزوله خوفاً من خطر ما يحصل له لا سمح الله، فيُخَرّبُ شُغلنا جميعه، فقمنا كلنا ضده ومنعناه عن النزول لحرب ذلك الفارس الذي يَطلبه، بينما هو كان يعمل كل جهده ليتخلص من أيدينا ويريد أنْ ينزل الميدان، حتى اضطررنا أنْ نَربطه بالحبالِ، ونَدُقَّ له سِككاً مثل الخيل، ونقعد فوق السكك خوفاً من أن يَقْلَع السكك ويذهب، ولم يزل الفارس المُدرع يصيح ويصرخ ويقول للدريعي: يا من عاين اليوم يومه، أود أنْ أراه في هذا الميدان حتى أعدمه حياته.

وكلما سمع الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان ذلك يهيج مثل الجمال، وتَحمرُّ عيناه، ويشدُّ على السككِ حتى يقلعها ويروح، ونحن نعمل كل جهدنا حتى لا ندعه ينزل، إذ يحصل لنا ضرر عظيم في الحاضر والمستقبل إنْ حدث له أمر لا سمح الله.

وبينما نحن في اعتلاج معه نَشدهُ ويَشدُّنا، وإذ حضر خيال من قبيلة الشراراتِ يُقال له طَعْيسان راكباً على فرسٍ شقراءٍ، ليس عليه إلا القميص، وبيده رمح فقط

---

(1) الأصح: فولاذ وهو: معدن يتكَوَّن من الحديد والفحم، ويُستعمل بوجه خاصّ في صنع الأدوات والأسلحة، ولصلابته درجات مختلفة. معجم اللغة العربية المعاصرة: 1311/2.

لا غير. فرأى الحال الذي نحن به، والفارس لمْ يزل في الميدان يطلب الأمير الدريعي للمُنازلة. وكان اشترى في ذلك اليوم الفرس الذي تحته من عرب الحديدية، وكان له امرأة اسمها شامة بنت جدْيّدْ.

ثمَّ زَاْحَمَنَا ودخل أمام الأمير الدريعي بن مَشهور وقال هذه الأبيات:

يومي أنا شــريت جواد الحديدي	شــريتهـا يوم صـــار لي بها شَــفْ
اشــتريتهـا وأبغي عليهـا الحميـدة	وأكف طراد الخيل من فوقها كف
وأطعن لعيون شـــامـة جـديـدة	بنت الذي لا طالع الزول ما خف[1]

وفرَّ من بيننا إلى حومةِ الميدانِ مُقابل ذلك الخيال، وابتدأ بينهما الحرب بِكلِّ قساوةٍ، حتى تَعجبت الناس، وبقينا جميعنا ننظر إليهما، وهما لمْ يزالا مع بعضهما بالأخذ والرد نحو ساعة من الزمان، من غير أنْ يَرْجَحَ أحد على الآخر.

ثمَّ أخيراً تمكن خيالنا منه فضربه برمحٍ في حلقهِ، إذ ليس في جسمهِ مكان خال من الدرع يتحكم به غير شيء قليل عند حلقه فقط، فضربه بالرمح الأجرد إذ لمع سنان الرمح من الجانب الثاني فقُتل، إلا أنه بقي على ظهر الفرس، والرمح عالق في رقبته، فعادت به الفرس إلى بيته، وذلك من عاداتهم.

فرجع طَعيسان عندنا، فقام الأمير الدريعي بن مَشهور وكل من كان عندنا وصافحناه، وحمده الناس على شجاعته ورجولته، وأهداه الأمير الدريعي فرساً ورمحاً، والشيخ إبراهيم قنبازاً جديداً من الحرير" [2].

(1) يقول: في هذا اليوم اشتريت جواد الحديدي إذ شغفت بها، وإني اشتريتها أريد بها الأعمال الحميدة وطراد الخيل من فوقه كما يعمل الخياط عندما يكف الثوب، وأطعن إكراماً لعيون شامة بنت جديد، بنت الذي لا يخاف وقت النزال. حاشية (2) من رحلة فتح الله الصايغ، ص: 219.

(2) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 218، 219.

المبحث الثالث:

أعماله وإمارته لقبيلة الرولة

1- أعماله وبطولاته:

اتسمت بدايات سياسة شيخ الرولة العام الأمير الدريعي بن مَشهور بخلافه الواضح مع الدولة العُثمانية ولمصالحها في المنطقة، ولا سيما بوقفِ سيرِ قوافلِ التجارةِ في طريقِ الحريرِ، ولذلك تمَّ الاصطدام بينهما مرات عديدة، وفي ذلك ذكر المُستشرق السويسري جون لويس بوركهارت أنَّ الرولة حاربت جيشاً مؤلفاً من ستة آلاف جندي تركي أرسله والي بغداد لحفظ غلوائها في المنطقة وهزمته[1].

وقد أدى هذا العداء بين الرولة والدولة العُثمانية إلى التقارب الدِّيني والسياسي والعسكري بين أمير الدِّرعيّة وأمير الرولة.

وقد رافقت الرولة الإمام سعود رحمه الله في إحدى غزواته إلى حوران وأوصلته إلى أغنى القرى فيها، وهذه كانت مناطق نفوذ قبيلة ولد علي من عنزة، حيث كانت قبيلة الرولة قبلها تأتي في كلِّ عام إلى ابن سمير شيخ قبيلة ولد علي لكي تتوسط وتحصل على إجازةٍ من والي دمشق لشراءِ مؤونتها من الغِلال[2].

وبعدَ أن اشتَدَّ نفوذ الرولة لمْ يكن أمام الولاة العثمانيين في الباب العالي سبيلٌ من التقرب إلى شيخ الرولة العام، فعرضوا عليه سُبُلَ التَّقارُب، ومنحوه لقب: أمير، ودالي باش في البادية، وعرضوا عليه مُناصرتهم ضد خصومهم، وحماية مصالحهم، مُقابل أنْ يكون في حمايتهم، طلبهُ مُجاب وكلمتهُ مسموعة، وذلك في سنة: 1223هـ؛ 1808م كما تُشير الوثيقة العُثمانية التالية في ذلك الوقت، وهي فرمان همايوني وَجَّهَهُ الباب العالي في الأستانة إلى الأمير الدريعي بن مَشهور تمت مراجعته وترجمته من قبل الباحث التركي د. محمد طرخان وفقاً لما يلي:

---

(1) عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، ص: 370.

(2) المرجع السابق، ص: 370.

صورة قوبجي (فرمان سلطاني) (1)

الباب العالي الصدارة العظمى

مكتب آمدىء ديوان همايون

5021

قدوة الأماثل والأقران ساكن إيالة بادية الشام والجوف الأمير الدريعي الشّعلان و دالي باش (رئيس) قبائل الرولة وعنزة زيد قدرهُ بعد السلام المنهي إليك يكون معلومك هذا التوقيع الرفيع الهمايوني الواصل إليك هو أنه وجهنا إيالة(2) الشام وأميرية الحج وسر عسكرية الحجاز إلى عُهدة الدستور المُكرم وزيرنا المُفخم كنج يوسف باشا أدامَ الله جلاله، وأمرناه لتولية إيالة (ولاية) الشام لضبط وربط المملكة ومنع شرور أصحاب الفساد والخراب. وأنت أيها الأمير المُوماً إليه (المقصود) عليك أن تُظهر حسن الصداقة والتعاون، وتكون تحت أمر ورأي وتحرير وزيرنا المُشار إليه(المذكور) في بادية الشام، وبناء على ذلك أصدرنا لك مخصوصاً هذا الأمر الهمايوني الشريف، وأرسلناه لكم.

حال وصوله لكم تكون أنت ومن في إِمرتك من عربان الحويطات وأبناء شاكر ووزيرنا رأي واحد في سائر الأحوال والأمور. ساعياً بِحُسن الغيرة والولاء لما يأمرك به، واحذر المُخالفة على الوجه المشروح(الموضح لك) بموجب صدور أوامرنا السلطانية الشريفة تكون مُمتثلاً ومُتتبعاً. واعتمد هذه العلاقة السلطانية الشريفة غاية الاعتماد حتى تكون عندنا عزيزاً مُجاباً محفوظاً والسلام. تحريراً في: 2 مايس سنة 1221 مالي، 1223 هـ 1808م، الأستانة.

الصدر الأعظم
شلبي مصطفى باشا
الخاتم والتوقيع

---

(1) الأرشيف التركي، إستانبول، مكتب آمدىء ديوان همايون: 5021/ 36-45 -wg-n.

(2) إيالة : ولاية.

2. **إمارته في قبيلةِ الرولةِ:**

بناءً على الموروث التاريخي المحفوظ والمروي والموثق في تاريخ قبيلة الرولة وقبائل عنزة بات مِنَ المُسَلَّم به: أنَّ الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان كان أميراً وشيخاً عاماً على عموم قبيلة الرولة وتوابعها مُنْذُ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي (1800م /1215هـ)، **حيث كان يشغل منصبي:**

أ- شيخ الباب؛ أي هو الشيخ العام لقبيلة الرولة ومرجعيتها الرئيسة في الشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدبلوماسية وغيرها.

ب- شيخ الشداد؛ أي هو فارس القبيلة وعقيدها وقائدها في المعارك والغزوات والحروب.

فقد ذكر المؤرخ النجدي الشهير ابن بشر في تاريخه " عنوان المجد "، من أحداث أمير الرولة في سنة: 1224هـ الموافق 1809م قائلاً: " وفي هذه السنة، تمَّ حشد بادية العراق من شمر وجميع بوادي العراق، وأَمَدَّهُمْ سُليمان باشا صاحب العراق بعسكرٍ، فسار الجميع وقصدوا عنزة والظفير في ناحية العراق، ورئيس عنزة يومئذ الدريعي بن مَشهور الشّعلان، ورئيس الظفير – الشيخ - الشايوش بن عفنان، فالتقت البوادي وأتباعهم وتنازلوا مدة أيام، وأيقن عنزة والظفير بالكسرِ، ثمَّ ندب بعضهم بعضاً، وكروا كرة واحدة على جموعِ أهلِ العراق، فهزموهم هزيمة شنيعة، وقتلوا من العسكر والبادية خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم أموالاً كثيرة من الخيل والإبل وغير ذلك، ممّا لا يُحصى وظهروا بها إلى نجد " [(1)].

وبذلك يتضح جلياً أنَّ الأمير الدريعي بن مَشهور كانَ شيخاً عاماً على قبيلة الرولة منذُ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي. يقول المُستشرق النمساوي لويس

(1) عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبد الله بن بشر، ص: 301. مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط4، 1982م.

موزل[1] : " وكان قائد الرولة (شيخ الشداد) في أوائل القرن التاسع الدريعي بن مَشهور الشّعلان ".

وقد ذكره أيضاً الشيخ محمد البسام التميمي صاحب كتاب " الدُّرر المفاخر في أخبارِ العرب الأواخر "، المتوفى سنة:(1246هـ) الموافق:(1830هـ) قائلا: " ومنهم الرولة؛ شيخهم الدريعي المَشهور، وهؤلاء القبيلة أطول باعاً في الكرم... " [2].

وهذا يفيدنا في أنَّ أمير الرولة ربما عاش حتى عام (1830م)، وهذا غير مؤكد، لأنَّ الشيخ ابن بسام ربما أَلَّفَ كتابه قبل وفاته بزمن، وعليه فلا مُعول على هذا التاريخ، ولكنه تخمين لا أكثر على بقائه حياً حتى ذلك التاريخ!.

ولكن عند الرجوع لسيرة أمير الرولة؛ يجد القارئ أنَّ آخر حدث تاريخي مؤرخ للأمير الدريعي بن مَشهور على نحو مؤكد هو: " وقعة السبيخة " أو كما يُسميها أبناء وشيوخ قبيلة عنزة بـ " **صيحة حصة** " في العام (1239هـ الموافق 1823م).

يقول المؤرخ الشهير المُحامي عباس العزاوي - رحمه الله - في كتابه " العراق بين احتلالين: " سنة: 1238هـ يوم بصالة - وهو معروف بصيحة حصة- في هذه السنة حصل يوم بصالة وهو لشمر على عنزة، وكبيرهم ابن هذال، وكبير شمر صفوق

(1) لويس موزيل بالإنجليزية(Alois Musil) (30 يونيو1868 هـ = 12أبريل 1944م) أحد مُستشرقي الإمبراطورية النمساوية المجرية، أستاذ جامعي وأحد مشاهير الرحالة الأوربيين الذين قاموا بزيارة الجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. أكتشف في عام 1898قصور بني أمية الصحراوية.

عاش في بلاد الشام وشمال شرق شبه الجزيرة العربية ووسطها، كمستشرق ومُدرِّس وباحث جغرافي واجتماعي وسياسي، حيث خالط البدو من سنة: 1908 م إلى سنة 1914 م مثل: شمر، و ولد سلمان، وولد علي، والحويطات، وبني صخر، ولكنه استقر عند الرولة وحمل اسم الشيخ موسى الرويلي، وقد جال مع آل الشعلان في أغلب مضاربهم، ليُصنف دراسته تحت عناوين عدة مثل: "شمال نجد" و"شمال الحجاز" و"أخلاق الرولة وعاداتهم" و"مُرتفعات وتضاريس بلاد الشام"، وقد جمعتها الكاتبة الأمريكية كاترين رايت في نيويورك سنة: 1928 م، ذكرته جامعة القديس يوسف في بيروت بأنه كان أحد أهم مُحاضريها سنة: 1902م، وجامعة اللاهوت بالقدس سنة: 1904 م، أصدرت الحكومة التشيكية طابع حمل اسمه سنة 2008م تكريماً لمجهوداتِهِ كونه تشيكي الأصل نمساوي الجنسية.

(2) الدُّرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، محمد البسام، ص: 153.

الجرباء، وكانت الغلبة لشمر، ولما عبر ابن هذال الفُرات ندب قبائل عنزة لأخذ الثأر، فاجتمع العنزيون وعبروا الفُرات على الجزيرة، ثمَّ ساروا قاصدين شمر، وذلك في سنة: 1239هـ، وبقوا في مُطاردة ومُطاعنة، ثمَّ في آخرِ الأيام التي التقوا فيها أدبرت شمر وصارت النُّصرة لعنزة عليهم، وغَنِمَ العنزيون من شمر أموالاً كثيرة..." (1).

وهذا الحدث، كان في آخر عهد شيخ الرولة العام الأمير الدريعي بن مَشهور في كتب التاريخ حتى الآن، ولمْ يرد له بعد ذلك أي خبر تاريخي موثق!.

وبعد هذا الانقطاع يَرِدُ أول خبر تاريخي موثق، الذي يحمل خبر تنصيب ابنه الشيخ صحن بن الدريعي الشّعلان شيخاً عاماً وأميراً على الرولة بعد أبيه، وهو مناخ المُربع(2) المعروف، والذي كانت أحداثه في سنة :1249هـ /1833م.

---

(1) موسوعة العراق بين احتلالين (حوادث سنة: 1238هـ=1822م)، المحامي عباس العزاوي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ج 6، ص: 325.

(2) المُربع واقعة جنوب مُحافظة المذنب بمنطقة القصيم، ومدة مناخ المربع أربعين يوماً. مناخ المربع في سنة: 1249 هـ وقع بين مطير وحلفاءها، وعنزة وحلفاءها، وكان شيخ قبيلة مطير وقتها: محمد بن فيصل بن وطبان الدويش المُكنى (أبو عمر). وأخوه الحميدي ومعهم : بنو سالم من حرب، وقائدهم ذياب بن غانم، وسلطان بن ربيعان وأتباعه من الروقة من عتيبة، وغازي بن ضبيان وأتباعه من الدهامشة من عنزة، مزيد بن مهلهل بن هذال معه قطعة من آل حبلان من عنزة. هـ ؤلاء مطير وحلفائهم مقابلون لضدهم ويشربون من عين الصوينع المعروفة في السر.

عنـزة : زيد بن مغيلث ومعه بعض من قبيلته آل حبلان، قاعد بن مجلاد وقبيلته من الدهامشة، الغضاورة من ولد سليمان، ابن وضيحان وقبيلته من الصقور، صحن بن الدريعي بن مشهور الشعلان وقبائله من الرولة. هؤلاء هم عنزة، ومعهم : بنو علي من حرب ورئيسهم الفرم، البرزان من مطير ورئيسهم حسين أبو شويربات، عدوان بن طوالة وقبيلته من شمر. هؤلاء عنزة وحلفاءهم اجتمعوا قبالة ضدهم ويشربون من الثليماء الماء المعروف قرب المذنب.

وجرى بين هؤلاء الجنود حرب شديد يشيب من هوله الوليد، تبارزت فيه فرسانهم، وتعانقت شجعانهم وعملوا لأهل البنادق المتارس، فَعَلا دخان البارود فيما بينهم، ودام كل ضد لضده حارس، وعقلوا إبلهم في هذا المناخ حتى أكلت الدِّمْن (البعر والكرس)، وغلا الطعام عندهم حتى بيع القليل منه بأوفر ثمن، واستمر ذلك المناخ والقتال أياماً نحو أربعين، ثم وَلَّتْ بعد ذلك عنزة وأتباعهم منهزمين، وذلك أنه ركب من مطير وأتباعهم أربعمائة فارس مُدرعين مطوسين (يضعون على رؤوسهم مثل الطاسة)، بعد ما تناشبت الحرب ذلك اليوم واشتعلت ناره، وطار شره وشراره، فكَرَّت على بعض جمع عنزة فكُسرت، ثم حمل جمع

وقد ذكرت كتب التاريخ وقعة بغداد بتفاصيلها بين الأتراك من جهة وأمير الرولة الدريعي من جهة ثانية، والتي نهبت جميع القبائل على قوة الأمير الدريعي بن مَشهور وشجاعته ورجولته، كما ذَكَرَتْ غيرها من الوقائع، منها:

ففي سنة: 1214هـ . /1800م نهبت عنزة الحلة بالعراق، وكانت بقيادة الشيخ فاضل بن ملحم آل مزيد، وقد حرَّضَ الكتخدا الحاكم التركي قبيلتا الدليم والبعيج إضافة إلى الجيشِ التركي ضد قبائل عنزة، وقد انضم إلى عنزة قبيلة كل من القشعم والأسلم والرفيع، وكان النصر حليف عنزة ومن معهم، وهُزمت القوات المُضادة لهم.

وفي سنة: 1224هـ /1810م غزا الوزير العراقي التركي سُليمان باشا قبيلة الرولة، وكان أميرها آنذاك الأمير الدريعي بن مَشهور، وهم على العين فانتصرت قبيلة الرولة، وقد هاجمهم الوزير سُليمان باشا التركي بجيوشه الكثيرة العدد قُرب بغداد، ولكن شيخ الرولة العام انتصر عليه. واهتالت الناس والعشائر من هذا النصر وهذا الشيء العجيب، كيف لبدوي أنْ ينتصر على الأتراك!

ولكن الوزير العراقي سُليمان باشا غَضِبَ غضباً شديداً لهزيمة جيشه أمام قبيلة الرولة، فقرر أنْ يغزو قبيلة الرولة مرة أخرى، حيث أنه لا يُريد أنْ تقوم للأمير الدريعي بن مَشهور قائمة بعدها، ولكي يسترد هيبة الدولة وكرامتها المَهدوره إثْر الهزيمة السابقة، فبعد الهزيمة الأولى يقول بعض المؤرخين إنَّ الجيش التركي كان بقيادة الشايش بن عفنان الظفيري، وقام باشا بغداد بجمع أكبر عدد من الجنود من الأتراك وقبيلة عقيل، وجميع بادية العراق (منها شمر وزعيمها بنيه الجربا) وغيرهم، وساق الوزير هذا الجيش على الرولة بقيادة الشايش بن عفنان، وتناوخوا قرب بغداد، فكان النصر حليف الرولة، وهُزمت قوات الوزير وأتباعها.

الدوشان على من يليهم وساقوا عليهم الإبل فوطؤه، فولت جموع عنزة مدبرين، لا يلوي أحد على أحد، راكب ولا راجل إلا شرد، وتركوا محلهم وبعض أغنامهم، وشيئاً من إبلهم، وذلك لأن عنزة لما رأوا وجه الهزيمة هَزَّمُوا الإبل قبلهم وبعض الأغنام، وأخذ عدوهم ما تركوه وشيئاً مما أدركوه (...). عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر، ص: 93- 93.

ويقول المؤرخون في هذه المرة لم ينتصر الأمير الدريعي بن مَشهور على باشا بغداد وجحافل جيوشه فقط، بلْ إنّما كان نصراً عظيماً، حيث تمَّ سحق الجيش التركي، وقُتِل الكثير من أتباعه...

ويقول الباحث ثامر حامد في كتابه: " تاريخ آل جربا وقبيلة شمر في الجزيرة العربيّة في إقليم نجد والجزيرة " صفحة 98، 99 ما نصه: " جهز الوالي سُليمان الصغير قوة قبلية تحت إمرة الشيخ فارس الجرباء تكونت من قبائل: شمر والبوحمدان والعبيد، بالإضافة إلى قوة تيمور باشا الملي ومن معه من قوات كردية، وانضمت إليها قوات سُليمان باشا بأبانْ مُتصرف كويسنجق، وقوات أخرى، وتحركت هذه القوة تحت قيادة أحمد بك باشا يوغ أخو الباشا من الرضاعة، ووصلت هذه القوة إلى رأس العين، ومنها تحركت نحو قبائل الظفير التي انهزمت أمامها...." إلى أنْ يقول: " وبقي الشيخ فارس وشمر على استعداد للقاء الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان من عنزة، وقام بِمُطاردة قبائل الرولة ومن حالفهم، يُسانده تيمور باشا الملي وبعض القوات القبلية الأخرى، وحدثت معركة بين الطرفين، كان من نتيجتها: أنْ عاد الشيخ فارس ومن معه مكسوراً من هذه المعركة..." انتهى كلامه.

بعد هذا المناخ استقرت قبيلة الرولة. ففي كتاب " عشائر الرقة " والجزيرة[1]: " تولى فارس بن الحميدي الجربا مشيخة شمر بعد أخيه مطلق، وكان فارس رَجُلاً شُجاعاً حكيماً جاء إلى أرض الجزيرة، وكانت عشائر الرولة بقيادة الأمير الدريعي بن مَشهور قد احتلت نهر الخابور، وصاروا يمرحون دون أنْ تجرأ أي عشيرة عن صَدِّهِمْ، وحتى الوزير سُليمان باشا حاول صدهم عام: 1800 م فلم يُفْلِح، لذا عدّ المؤرخ الانكليزي لونكريك هذه الواقعة أكبر حدث جرى في هذه المنطقة ". انتهى كلامه.

وذكر عبد الله فيليبي كتابه " تاريخ نجد " ما نصه صفحة 123: " في نهاية عام: 1809 م خرج سُليمان باشا والي بغداد بقوة عسكرية ليؤدب قبائل عنزة والظفير

(1) عشائر الرقة والجزيرة، محمد بن عبد الحميد، 2003م، ص: 156-157.

النازلة عند الحدود العراقية، وكانت قبائل عنزة تحت إمرة الدريعي ابن شعلان، وهزموا القوات العراقية، ثمَّ عادوا إلى بادية الشام والعراق، وصاروا قُوَّة مرهوبة في منطقة عربستان... ". انتهى كلامه.

أما المؤلف أمين بن حسن الحلواني في كتابهِ " مُختصر مطالع السعود " [1] يقول ما نصه صفحة 124: " في عام 1816م غارت الرولة بقيادة الدريعي بن مَشهور على شمر يُساندهم شيخ المنتفق (حمود بن ثامر)، ويُساند شمر شيخ العبيد (قاسم بن محمد بن عبد الله الشاوي) وبعض قوات سعيد باشا الوزير، وكان (بنيه بن قرينيس) يصول كالنمر بين الجموع، فجاءته رصاصة طائشة وقَتَلَتْهُ، وقبره اليوم جنوب منطقة أم البعرور والحميدية على بعد 20 كلم من أرض الشامية.. ".انتهى كلامه.

هذه بعض الوقائع التي جرت مع قبيلة الرولة بقيادة شيخها العام الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان، وهي تدل دلالة واضحة على شجاعته وهيبته بين القبائل الأخرى. وهناك وقائع أخرى مَشهورة ستُذكر في مواضع أخرى من هذا السِّفر.

لقد أصبحت قبيلة الرولة في عهد الأمير الدريعي قبيلة منيعة على أكبر قبائل البادية مُجتمعة، فسادت البادية المُمتدة من غربِ الموصل إلى الفراتِ شمالاً، وأنحاء حوران والأردن جنوباً طيلة عقود عديدة.

(1) هو اختصار لكتاب " مطالع السعود بأخبار الوالي داود". تأليف الشيخ عثمان بن محمد بن أحمد ابن سند البصري، توفي 1250هـ وهو نسخة مقتطعة من كتاب " خزانة التواريخ النجدية" جمع وترتيب الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام، وهي نسخة قديمة ليس عليها أي معلومة عن مكان وتاريخ الطباعة.



الفصل الثالث

وقائع الرولة في عهد الأمير
الدريعي بن مَشهور بن منيف الشعلان

- المبحث الأول: واقعة صيحة حصة.
- المبحث الثاني:

وقائع الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع السعوديين:

1. بداية الحرب مع السعوديين:
2. الدريعي يرد غزواً آخر لجيش الإمام
3. الاستعداد للحرب مع جيش الإمام.
4. المعركة الكبرى قرب حماة.
5. انكسار الجيش العثماني.
6. الحلف الأكبر.
7. مع عرب العجم والهند.
8. رسالة من الأمير عبد الله بن سعود إلى الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان

- المبحث الثالث: الحرب بين الرّوَلَة والحِسَنَة.

الفصل الثالث:

وقائع الرولة في عهد الأمير
الدريعي بن مَشهور بن منيف الشعلان

يتحدث هذا الفصل عن بعض الوقائعِ أو الحروب التي اشتهرت في التاريخ بأسمائها وأحداثها، وما ذلك إلا لأهميتها، ولأنها تُبيّن بوضوح شجاعة أمير الرولة في الحروب وحكمته في التخطيط للمعارك، تلك الحكمة التي كانت سبباً في انتصاره في معظم الحروب التي خاضها، كما تُبين شهامة هذا الفارس النبيل في نجدتهِ للملهوف، وهذا ما يتضح في واقعة صيحة حصة.

المبحث الأول:

واقعة صيحة حصة

في سنة: 1238هـ /1823م انتصرت شمر على قبيلة العمارات من عنزة في معركة " بصَّالة " (1)، واستولوا على هودج الشيخة حصة بنت الحميدي الهذال، فصاحت الشيخة حصة صيحتها المَشهورة: (الدريعي يا رجالي)، والدريعي هو زوج أختها سكر

(1) وسبب ذلك هو أنَّ قبيلة الشيخ حميدي ابن هذال من عنزة أصابتهم سنة قحط، فعبروا إلى الجزيرة (الفراتية) وفيها شمر، حيث عبر الشيخ الحميدي ابن هذال، وعبرت عنزة معه، وعنزة وشمر في الوقت ذاك، كانت الوقعات بينهم سجالاً، ولما عبروا اتخذت شمر هذه الفرصة للقِتال فتناوخوا، وطال المناخ مدة شهرين، ولم تكن النتيجة لصالح عنزة، وإنما انتصرت شمر. وفي هذه الوقعة كانت حصة بنت الحميدي بين من أُسر من نساء عنزة، والعادة هي أنْ لا يتم التعرض للنساء، ولا يمسهن أحد بسوء، ولكن هذه المرة رأت حصة إهانة من بعض أفراد شمر لما عُرف أنها بنت شيخ مشايخ عنزة الحميدي الهذال، فتطاول أحدهم عليها وطعنها فصاحت الشيخة حصة " الدريعي يا رجالي" . انظر: موسوعة العراق بين احتلالين (حوادث سنة 1238هـ=1822م)، المحامي عباس العزاوي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ج6، ص: 325.

بنت الحميدي الهذال. وما إنْ وصل الخبر إلى شيخِ الروِلة العام الدريعي بن مَشهور، حتى قام بالاستعداد لأخذ الثأر، وأمر الرولة بقتل أبناء الخيل في أثناء الولادة حتى لا يُذهب الرضاع قوتها، وقالوا كلمتهم المَشهورة : " لعيون حصة ما تمصه "، وقام أمير الرولة بإرسال الرُّسل لعمومِ قبائل عنزة يستنفرهم لأخذ الثأرِ، وسار بقبيلةِ الرولة ومن معهم من بني عمومتهم من عنزة قاصدين قبيلة شمر بالعراق، فالتقى بهم في مناخ حصة المَشهور جنوب تل عفر قرب الموصل عند سبيخة البويرات، وذلك في سنة: 1239هـ /1823م، وانتصر عليهم وكان معهم قسم من جيش الدولة العُثمانية النظامي.

وقد صوَّر الشاعر دلّي بن دبلان السبيعي العنزي هذه المعركة فقال:

صـــال الـدريعي بـالمظـاهير والمـال | كلـه لـعـين صـيـحـة الـوايـلـيـة
وايل على صمّ الرمك والنضا صال | رخـم الجـمـوع اللـي تهـزّع قـويـة
صـلنا من الشـنبل إلى قصـر شـلال | متجنـدين بـالسـيوف القضـيـة
السـيف شـرع بالعلف والحمر سـال | والخيل شـربت من حياض المنية
والموت شــرف والتحم زجر وقتـال | شيل النفوس بعيد شهر الضحية
تســعين يـوم بـيـنـنـا كـرّ وانـزال | شــهرين والثـالـث ذبحنـا بنيّـة
يـاويّ خـيّـال عـلـى كـل خـيـال | عـزي لـكـم يـا عـزوة الشــمـريـة
مـا عـاد نركـب خيلنـا يـا ابن هـذال | ولا تنلكـد بكعوبنـا معنقيـة [1]
لـو مـا فعلنـا كلنـا حســب الأنـذال | لا شــك جتك جموع وايل ســوية
تحفلي يـا بنـت مـاضــين الأفعـال | أرواحنـا من دون ضــيمك هـديـة

(1) المعنقية: من أنواع الخيل الأصيلة عند قبيلة عنزة والسبعة خصوصاً.

المبحث الثاني:

وقائع الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع السعوديين

كانت لأمير الرولة أكثر من واقعة مع السعوديين، وأفضل من وصف تلك الوقائع هو فتح الله الصايغ - أو عبد الله الخطيب كما سَمَّى نفسه- الذي عاش مع الأمير الدريعي ابن الشّعلان سنوات عِدَّةَ، وكان مُستشاراً له، وذلك بأمر مُعلمه لاسكاريس الذي تَسَمَّى بـ (الشيخ إبراهيم).

وبعد هذا الانتصار الكبير على السعوديين يَذْكُرِ الصايغ أنَّ أمير الرولة قام بتشكيل حِلْف من القبائل العربيّة، ثمَّ سار ومن معه حتى قطعوا دجلة ودخلوا أرض العجم وقَصْدُهُمْ لقاء الأمير سعد البُخاريّ رئيس قبائل عرب الهند كي يتحالفوا معه، وفعلاً تم ذلك التحالف بحكمة وخبرة الأمير الدريعي ابن شعلان، وبعد عودته إلى الشام وصلته رسالة من الأمير الإمام عبد الله بن سعود يطلب حضوره إلى الدِّرعيّة عاصمة إمارته، وبعد أَخْذٍ ورَدٍّ تمَّ الصُّلح بين الطرفين.

وقد ذُكِرَتْ هذه الوقائع في كتاب الصايغ الذي سماه " رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربيّة " وقام بتحقيقه الدكتور يوسف شُلْحُد[1]، كما قام بترجمة الرحلة من الفرنسية إلى العربية[2].

---

(1) عمل مديراً فخرياً للأبحاث في المركز القومي الفرنسي للبحث العلمي، ومُدرس الانتروبولوجيا الثقافية في جامعةِ السوربون الجديدة سابقاً. مُقدمة المترجم لرحلة فتح الله الصايغ، ص: 27.

(2) يقول الدكتور يوسف شلحد: إنَّ هذه الرحلة لا يوجد منها إلا نسخة واحدة في العالم، وهي التي اشتراها لامرتين (رجل فرنسي) ومحفوظة أيضاً في المكتبةِ الوطنيةِ بباريس، قسم المخطوطات العربية تحت رقم: (2298). انظر: رحلة فتح الله الصايغ، ص: 24.

كيف بدأت رحلة فتح الله الصايغ للبادية ولقائه أمير الرولة، وأسباب ذلك؟

وقبل البدء بذكر الأحداث التي ذكرها الصايغ في رحلته للبادية التي استمرت سبع سنوات، لا بُدَّ من ذكر سبب هذه الرحلة عند هذا الشاب الحلبي السوري الذي وُلد بحلب سنة: 1790م، وطالت سياحته سنوات عدة، بدأت في الثامن عشر من شهر شباط سنة: 1810م وهذا يعني أنَّ عُمره كانَ قريباً من العشرين سنة، تجول خلال رحلته في بادية الشام وصحارى العراق والعجم وتجاوزها، على ما يذكر، إلى حدود إيران الشرقية حيث قابل الأمير سعد البُخاريّ رئيس قبائل عرب الهند بصحبة الشيخ الدُّرَيْعِي بن مَشهور الشّعلان، ثمَّ قطعا الحماد وزارا الدِّرْعِيَّة عاصمة الدولة السعودية الأولى يومئذ.

وتحدث الصايغ في مُذكراته عن العادات والأعراف البدوية، وعن القبائل التي اتصل بها، وذكر أسماء شيوخها وعدد مُقاتليها، وتكلم عن السعوديين وحروبهم وغزواتهم على عرب الشام ووقائعهم مع، شيخ عرب الرُّوَلَة الدريعي، ووصفَ البلدان التي مرَّ بها.

أما مؤسس فكرة هذه الرحلة فهو رجل من الأفرنج يُدعى تيودور لاسكاريس التقى بالصايغ في حلب سنة: 1809م، وطلب إليه أنْ يُعلمه اللغة العربيّة، ثمَّ عرض عليه القيام بهذه الرحلة بقصدِ الاتجار والربح، على أنْ يكون الصايغ التُرجمان للاسكاريس.

غادر لاسكاريس وتُرجمانه حلب إلى سَرْمين، يوم الخميس الواقع في 18 شباط سنة: 1810م، على طريق القوافل، ثمَّ قصدا معرة النعمان، ومنها إلى خان شيخون، ثمَّ إلى حماة حيث أمر الحاكم سليم العظم بسجنهما بتهمة التجسس، لكن البرطيل[1] أنقذهما سريعاً من الزنزانة، فتابعا سفرهما إلى الرَسْتَن فحمص.

(1) البرطيل يعني: الرشوة، وهي: مبلغ من المال يُدفع للوصول إلى غير الحق. جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، ص: 190 : " بِرْطيل [مفرد]: ج بَراطيلُ: رِشْوة، والشائع فتح الباء (بَرْطيل)".

وطابت لهما الإقامة في هذه المدينة، فبقيا فيها إلى نهاية الشتاء، واتضح للصايغ أنَّ مُعلمه يرمي إلى تعرف أحوال البدو، وليس القصد من الرحلة هو التجارة والربح، ولذلك طلب لاسكاريس من رفيقه أنْ يُسجل يومياً على ورقة جميع ما يقع لهما من حوادث مُنْذُ مُغادرتهما حلب، وهو بدوره يُدَوِّنُ مُلاحظاته في دفترٍ باللغةِ الفرنسيةِ، مُستعيناً بمذكراتِ الصائغ، فظَلَّ الصايغ يكتب يومياته مُدة ست سنوات، إلى ما بعد وفاة لاسكاريس في القاهرةِ.

وتابعا رحلتهما فذهبا إلى صَدد من قُرى حمص بسوريا وهي قرية جميع سكانها من السُّريان النصارى، ثمَّ توجها إلى القريتين ومنها إلى تدمر، ثمَّ ساعدتهما الظروف فتعرفا الأمير ناصر ابن الأمير مهنا الفاضل، المعروف بالمِلْحِم، شيخ الحِسَنَة، فحلّا ضيوفاً عند هذه القبيلة.

وبعد أنْ أقاما مُدة عند عرب الملحم تبين للاسكاريس، أو الشيخ إبراهيم كما تَسمى عند البدو، أنَّ الأمير مهنا الفاضل آل مزيد – وبالأَوْلَى- ابنه ناصراً يتبع سياسة خرقاء[1] ترمي إلى فرض سيطرته على القبائلِ بدعم العثمانيين[2]، وهذا لا يتماشى مع أهداف لاسكاريس عامل نابليون، واتضح له بعد دراسة أحوال البادية أنَّ الشيخ الذي يتمكن بوساطته من تحقيق مآربه هو أمير عرب الرولة الدريعي، فطلب عندئذ من رفيقه الذي تَسمى عبد الله الخطيب أن يبذل جهده للوصول إليه، على الرغم من المَشقات وبُعد المسافة، لأنه كان ضارباً خيامه في الجزيرة قرب مدينة دير الزور.

وكانَ لا بُدَّ للشيخِ إبراهيم من اطلاعِ تُرجمانه على الغرضِ الحقيقي من هذه الرحلةِ: فأعلمهُ حينئذٍ أنَّ الغاية منها الكشف عن أحوالِ البدو، والتعرف على كبارِ أمرائهم، وكسبِ صداقتهم، والسعي في جمع كلمتهم وإبعادهم عن العثمانيين،

(1) يقول لاسكاريس في مُذكراته واصفاً مهنا : " إنَّ أمير بني حسن (مهنا الفاضل) المُحارب القديم المُتْعَب من الحروب، المُتزوج عشر مرات، والمُتعب من المُخاصمات، ووالداً لعشرين صبياً، (...). لاسكاريس العرب، جان سوبلان، ص: 112.

(2) يقول لا سكاريس في مذكراته: " فناصر هذا مشغوف بالأتراك مُتَحَمِّسٌ لهم، وهو يحلم بحكم قبيلتهِ حسب شكل من أشكال الإدارة العثمانية". لاسكاريس العرب، جان سوبلان، ص: 126.

والعمل على معرفةِ الصحارى ومسالكها ومياهها، وأنَّ الهدف السياسي هو توحيد صفوف البدو ليكونوا عوناً لجيشٍ كبير (حملة فرنسية بقيادة نابليون بونابرت) سيمر بالشرقِ ليحتل بلاد الشام والعراق، ويقطع الصحراء قاصداً الهند لقطعِ الطريق أمام انكلترا[1]، وأنَّ الأمير الدريعي الشعلان هو الشيخُ الكبير الذي يُمكن الاعتماد عليه لتحقيق هذه المآرب.

وتمكنت الصُّحبة بين لاسكاريس وأمير الرولة الدريعي، الواحد يدبر الأمور، والآخر يعمل على اتحادِ القبائلِ. وأمّا الصايغ - أو عبد الله الخطيب- فكان يَكتب الرسائل ويَكسب القلوب بِطِيْبِ لسانه، وتمكن بدهائهِ من ربطِ كبارِ الشيوخِ برباطٍ عظيم، على أنْ يكونوا يداً واحدة مع أمير الرولة في كلِّ الأمورِ، وعوناً له في خلافهِ مع العثمانيين..... وتمَّ التوقيع على وثيقةِ الاتحادِ في الثاني عشر من شهرِ تشرين الثاني سنة: 1811م /1226هـ. وكان مجموع القبائل خمساً وأربعين قبيلة تُعَدُّ نحو ألف ألف نفس.

وعادَ أميرُ الرولة إلى الجزيرة بعد أنْ تحالف مع أمير عربِ العجمِ، ثمَّ سار مع أصحابهِ قاصداً برَّ الشام، إذ أتته رسالة من أمير الدِّرْعِيَّة الإمامِ عبد الله بن سعود رحمه الله يَطلب حضوره إلى الدِّرعيّة، فتشاور القوم فيما بينهم، وتمَّ قرارهم على تلبية دعوة الإمام، وعلى إرسالِ وفدٍ يضم الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان وبعض ذوي قرابته، والصايغ وعدداً من العبيد. أما لاسكاريس فإنه رأى من الأنسبِ أنْ يبقى مع سائرِ أفرادِ القبيلةِ.

---

(1) يقول فتح الله الصايغ في مُذكراته ص: 123 : " قال لي لاسكاريس: أصغ إليَّ جيداً يا بني، لا يأتي نابليون لأمرٍ بسيطٍ، إنه يُريد تحرير سوريا من نِيْرِ الأتراك، سيُطرد العثمانيون بسرعة من حلب، وستعيش فيها بسلام أنت وذووك، لقد اختارونا أنا وأنت للإعداد لمثلِ هذا العمل الكبير... وتابع السيد لاسكاريس همسه إليَّ بمشاريع نابليون قائلاً : فنحن، لكي نتغلب على الأتراكِ، بحاجةٍ إلى البدو الذين يُسيطرون على الآبارِ بين دمشق وبغداد، وعلينا أنا وأنت أنْ نُحقق هذا المشروع، يجب علينا نحن الاثنين أنْ نذهب للتبشير لدى البُداة بقوة فرنسا، وبالتحالف مع نابليون، ليس أكثر من ذلك".

وبعد وصولهم إلى الدِّرْعِيَّة كان أمير الدِّرعيّة رحمه الله عاتباً على أمير الرولة، فاستقبله استقبالاً عادياً، ثمَّ أمر بحبسه ومن معه ووضع الحُرَّاس عند بابه، وبعد أَخْذٍ وردٍّ تمَّ الصُّلح بين الطرفين، على أنْ يكون الأمير الدريعي بن مَشهور سُلطان الشّمال، والإمام ابن سعود سُلطان القِبلة.

أمّا لاسكاريس فإنه سُرَّ جداً بنتائج رحلة الصايغ إلى الدِّرعيّةِ، إذ أصبح طريق الهند مُمهداً أمام جيوش نابليون، وأنَّ بوسعه أنْ يعود إلى فرنسا لإطلاع الإمبراطور على نجاحِ مُهمته، فذهب مع فتح الله الصايغ من حلب إلى إسلامبول (استنبول)، وهناك علم بانكسار القوات الفرنسية في روسيا، ثمَّ تتابعت الأخبار المشؤومة وهوى عرش نابليون، فسافر لاسكاريس إلى أزمير لمقابلةِ الجنرالين سافاري ولَالْمَان، وبناءاً على شورِهما طلب الحماية البريطانية ليَأْمَنَ على حياته مِن شرِّ العثمانيين، وذهب بمفرده إلى القاهرةِ حيث وافاه أجله[1]، فوضع القُنصل البريطاني سَالْطْ يده على مُخلفات العامل الفرنسي، بما فيها مُذكراته وأوراقه.

وعَلِمَ الصايغ بوفاة أبيه الروحي أثناء إقامته مع والدته في اللاذقيةِ، ثمَّ أتته رسالة من دُروفيتي، قُنصل فرنسا في الاسكندريةِ، يَطلب حضوره، فلَبَّى الطلب، وحاول عبثاً أنْ يحصل على أوراقِ مُعلمهِ، فلمْ ينل من القُنصل البريطاني إلا الإهانة والطرد.

يقول جان سوبلان عن الصايغ : " وعاد فتح الله، بعد أنْ رحل مع الرولةِ لبعض الوقت، إلى حلب ومات فيها بعد مُدة طويلة، وبعد أنْ غدا مُوَظَّفاً في قُنصلية فرنسا" [2].

وهكذا تكون رحلة الصايغ قد انتهت، والتي استمرت على زعمه سبع سنوات [3].

---

(1) يقول جان سوبلان صاحب كتاب " لاسكاريس العرب"، ص: 423 : " مات لاسكاريس في القاهرة في آذار من عام 1817م".

(2) المرجع السابق، ص: 423.

(3) انظر: مُقدمة المُحقق الدكتور يوسف شلحد لرحلة فتح الله الصايغ، ص: 7- 12.

1- بداية الحرب مع السعوديين :

كانت أول الوقائع بين أمير الرولة، وأمير الدِّرعيّة في حدود سنة: 1810هـ كما ذكر الصايغ في رحلته[1]، وذلك بعد الحرب التي حدثت بين أمير الرولة والشيخ مهنا الفاضل الملحم في الأرضِ الشاميةِ.

بعد هذه الحرب يقول الصايغ : " ثمَّ رحلنا ثاني يوم ونزلنا في أرضٍ يُقال لها شِعب اللوز، على نبعِ ماءِ القريتين، وفي غير نبعه، وهي أرض عظيمة بها مَرعى ومياه كثيرة، فبعد يومين إذا بالرعيان يصيحون: يا أهل الخيل. وكان الطرش بعيداً نحو ساعتين عن البيوت، فَرَكِبَت الخَيْلُ وطَلَبَتْهُ، وكان غزو كبير من عرب أمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود – رحمه الله - نحو ألف خَيَّال وألفي مَرْدُوف[2]، فوقعت حرب شديدة ودخل الليل. فانكسر الأمير الدريعي؛ لأنْ ما كان معه غير نحو خمسمئة خيال فقط، وربح العدو وراح بمكسبه " [3].

وبعد ذلك بأيام وصل الخبر أنَّ جيش الإمام ابن سعود بدأ يُغير على القبائل.

يقول الصايغ : " وفي اليوم التالي وصل خبر أنَّ غزواً من عند أمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود -رحمه الله- ضرب قبيلة وِلْد عليّ وشيخها دوخي ابن سمير، وغَنِمَ منها شيئاً كثيراً، لأنه غزو عظيم يدور في هذه الديرة ويفتت العُربان، حتى أنه ابتدأ يَدخل القُرى ويَبْلُصُ[4] أصحابها.

والعُربان خائفة جداً منه، والبعض منهم قرروا إعطاء الزكاة، أيْ عُشْر المال له حتى يَخْلُصُوا من شَرِّهِ، ويبقوا محسوبين من أتباعه وموَهِّبين، لأنَّ الذي يُعطي الزكاة يطيعه يقال عنه: مُوَهِّب.

---

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 84.

(2) مردوف ومراديف يعني كل اثنين على جمل.

(3) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 114.

(4) يأخذ أموالها.

فأَعْلَمْتُ الشيخ إبراهيم بهذا الخبر، فاغْتَمَّ جداً وقال: هذا ضد إرادتي، والرأي عندي أنَّ الدريعي يجب أنْ يكون ضد أمير الدِّرْعِيَّة، ويعمل كل ما يستطيع ليجرّ إلى طرفه زيادة من القبائلِ، وأمّا العُربان التابعون لأمير الرولة فيجب أنْ يكونوا جميعهم مُطيعين له، وعلى قلبٍ ورأْيٍ وعمل واحد.

فتكلمتُ مع المذكور بذلك وحَسَّنْتُ له الأمور بقولي له: اعلم أنَّ أمير الدِّرْعِيَّة الإمام عبد الله بن سعود إذا لمْ يرتدّ من هذه الديرة سوف يَملك كافة العُربان، ويجعلهم تابعين له، وتكون أنت من جملتهم، وتصير عبداً من بعدِ أنْ كنتَ أميراً وحُرَّاً.... وحالاً أَمَرَ العُربان أنْ تَجمع بعضها بعضاً، وأرسَل طُروشاً (أعني سعاة) إلى قبائلِ حورانِ وبلادِ الجليلِ يُخبرهم ويَطلب منهم إسعافاً، وكذلك إلى غيرِ القبائلِ. وحمّل الرُّسل كلاماً، وهو أنْ يقولوا من طرفه إلى القبائل أنْ مُراده أنْ يضرب غزو أمير الدِّرعيّة ويُشْهِرَ العداوة معه، فمن تبعه فليُظهر حاله، والذي يريد أنْ يكون من أتباع أمير الدِّرعيّة فليرحل إلى ديرته.

فبعد يومين، جميع القبائل التي كانت بالقربِ مِنَّا أطاعت أمير الرولة على ذلك الرأي وحضرت إلى عندنا، وبعد ذلك حضر الطروش، وأخبروا أنَّ جميع القبائل طاوعت على ذلك واعتمدته، سوى قبيلتين، وهم: بني صخر، والحسنة قبيلة مهنا الفاضل، فما أطاعوا ولا لهم إرادة أنْ يُعادوا أمير الدِّرعيّة. فتركهم الدريعي وقتئذ، وركب حالاً لِيَرُدَّ الغزو، وكان معه نحو خمسة آلاف خَيَّال وألفي مردوف بواردية، كل اثنين على جمل.... فغاب عنا عشرة أيام وانقطعت أخباره، وصِرنا في وَجَلٍ عظيمٍ وخوفٍ جسيمٍ، حتى ظننا أنه قُتل هو وكامل عسكره، وحَزِنَّا في قلوبنا حزناً شديداً، وصرنا خائفين جداً على أرواحنا، لأنَّه إذا حصل ذلك فالعُربان تَقتلنا، حيث نحن سبب ذلك الأمر.

ثمَّ يوم الحادي عشر قبل نصف النهار إذ ورد علينا خَيَّال جاء كالغائرِ، يحمل راية وهي زنار مربوط من الطرفين وقد عمله مثل بنديرة[1] بالرمح، وهو يركض ويقول:

(1) أي مثل العَلَم.

هذه راية الدريعي المَشهور، نَصَرَنَا الله على الضشمان[1]، أبشروا يا عربنا. فحالاً ركضنا وسلمنا عليه، وهو بَشَّرَنَا أنَّ أمير الرولة قد انتصر وسيكون هذه الليلة عندنا.

فألبسناه حالاً مَشْلَحاً جديداً وكوفية وجزمة، وأعطيناه مئة غرش[2] بخشيشاً. وكذلك نساء أكابر العُربان أهدينه نظير بشارته. وقامت الأفراح والألعاب والغناء والكيفيات[3]، وذُبحت الذبائح وأُعدت المآكل، وكان نهار من العمارِ[4] مُبْهِج وعظيم. وقبل غياب الشمس إذ أقبل الدريعي ابن شعلان وكامل من معه. فركضنا نحن وركب جميع من بقي من الرجال، واستقبلناهم بِلَعِبِ خيلٍ وإطلاق النار والزلاغيط، إلى أنْ وصلوا. فنزلوا وسلمنا عليهم، وحكوا لنا أنهم لحقوا بهم بعد ستة أيام في أرضٍ يُقال لها حذملما شرقي تدمر لناحية القبلة ثلاثة أيام، على حسب ركض العرب، وكانوا بمقدار عسكر أمير الرولة، وعقيدهم رجل صاحب صيت عظيم وفعل جسيم يُقال له: أبو نقطة، إنسان من جملةِ طباعهِ حين ينزل إلى القتال أنه يشلح عارياً ويتزنر على القميص ويشلح أكمامه فيبقى مُستتراً من الزنار وما تحته، وأما سائر جسمه فيكون عارياً مكشوف الرأس، حافي الرجلين، وهو أسود غامق السواد، جَسِيْمٌ بمقدار ثلاثة أفراد، شعره منفوش لمْ يحلقه قط، كبير اللحية تصل إلى بطنهِ، النتيجة تَفْزَعُ منه الجِنُّ، وأكثر عُربانه قريبون من هذه الصفات.

ثمَّ التَحَمَ القتال بينهم واشتد الحرب، وطار العِفَار[5] والغُبار، واستقاموا ثماني ساعات على هذا الحال. ثمَّ انكسر أبو نقطة وتفرَّقت عُربانه، وانتصر أمير الرولة بعون الله، وأخذ جميع ما أخذوه من الكسب من قبيلة وِلْد علي وأتى به معه، وجاء

(1) أي الأعداء.

(2) غرش يعني: قِرْش جمعها قُرُوش، وهي عُمْلةٌ نقديّة عربيّة استعملت في السعودية والسودان ولبنان ومصر، ويختلف سعرها بحسب البلد. معجم اللغة العربية المعاصرة، ص: 1797/3.

(3) يقصد المسرات.

(4) أي الأعمار، يقصد يوماً يذكره الإنسان طول عمره.

(5) العَفَر، محركة: ظاهر التراب، وقد يسكن (العَفْر)، قال ابن دريد: العفر، بالفتح: التراب، مثل العفر بالتحريك. ويُقال: ما على عفر الأرض مثله، أي ما على وجهها. جمع أعفار. تاج العروس: 82/13.

أيضاً بخمسةٍ وثلاثينَ فرساً كحايل، كسبها جميعها من عرب أبي نقطة. وقُتِل من عربنا اثنان وخمسون نفراً، ومن عرب أبي نقطة نحو مائتي نفر.

وهجَّ المذكور مع باقي عربانه في نواحي بلادِ نجد، وشاع خبر هذا الانتصار حتى وصل إلى سُليمان باشا في دمشق، فسُرَّ جداً وحالاً أرسل فروة وسيفاً إلى الأمير الدريعي مع بولردي[1] يحمده ويشكره به على فعلهِ هذا، لأنَّ الباشا وأهالي ديرة الشام كانوا خائفين جداً من أميرِ الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود – رحمه الله-، وخصوصاً من صِيت أبي نقطة.

وبعد ذلك رحلنا ونزلنا بأطرافِ بلدِ حوران، وحصل لنا إكرام زائد من دوخي ابن سْمَير، أمير قبيلة وِلْد علي، لأن أمير الرولة ردَّ عليهم جميع ما أخذَ منهم أبو نقطة. وتخاوى الشيخ دوخي بن سمير مع الأمير الدريعي بن مَشهور، وجاء مشايخ القبائل وقدموا الطاعة وارتبطوا جميعهم معنا، وصار رباط عظيم في حوران مع كامل العشائر، إلا مع بني صخر والحسنة " [2].

2- الدريعي يرد غزواً آخر لجيش الإمام:

وصلت الأخبار إلى أمير الرولة أنَّ السعوديين يُحاصرون تدمر، فرحل الدريعي إلى تلك الناحية والتقى بهم في محلٍّ يُقال له: الدَّوَة، ما بين القريتين وتدمر، والتقى الفريقان وبدأت الحرب بكل حرارة وشِدَّة، وكان جيش الإمام نحو عشرة آلاف، واستمر القتال إلى الليل، وارتدَّ كل فريق إلى محله، وكانت الغلبة لأمير الرولة لأنه أولاً كان أكثر عدداً، وثانياً لأنَّ بيوته ونساءه معه، وهذا يُعطي شجاعة ومروءة أكثر، كان السعوديون جُرداً من غير نساء، وثاني يوم هجم جيش الإمام على جيش الأمير الدريعي واشتد القتال وانتصر الأمير الدريعي مرة ثانية عليهم، وقَتَل عدداً منهم، وغَنِم خيلاً وجمالاً، وأسَرَ منهم اثنين وعشرين نفراً، فسار الخبر في البلاد ففرِح

(1) أي: حامل البارودة (البندقية).

(2) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 121، 123.

الحُكَّام، وصار للدريعي بن مَشهور صيت عظيم، وأصبحت الديرة والقرى والعُربان والحُكام بيدهِ مثل الخاتم يُديرها كما يشاء[1].

3- الاستعداد للحرب مع جيش الإمام :

حدث ذلك في حدود سنة: 1813م[2].

فبعد أنْ تَمكنَّ أمير الرولة من إنشاءِ اتحادٍ من القبائلِ لصدِّ جيش الإمام، وآخرهم كان أربع قبائل من شمر من أعظم قبائل العرب كانت تحت حكم أمير الدِّرْعِيَّة، وهذه العشائر هي: الخُرْصة، المحلّق، المَرَيْخات، الزكرد[3].

وهذه العشائر أَخْبَرَتْ أنَّ أمير الدِّرعيّة كثير الحركة هذه السنة، ولا بُدَّ أنْ يَضرب جانباً من الأراضي التي يحكُمها العثماني، والأقرب إلى الظن هو بَرُّ الشام أو بغداد.

يقول الصايغ : " إذْ وردت أخبار من طرف أمير الدِّرعيّة أنه أرسل جيشاً عظيماً على برّ الشام، ومراده أنْ يأخذ حماة وحمص واستملاك برّ الشام، فضجت الناس من هذا الخبر، وحسبت حسابات كبيرة...وما زالت أخبار جيش الإمام تزداد وتَشيع الأخبار وتكثر حتى تعبت قلوب الناس من هيبةٍ أمير الدِّرعيّة، وعزم كثير من الناس على الفرار إلى ناحية ساحل البحر (...) " [4].

ثمَّ وصل أمير الدِّرعيّة إلى تدمر، وهرب أهل تدمر والقريتين وسائر الضيع التي أمامه، فأرسل إبراهيم باشا ومُتسلم حماة وكامل الضباط إلى أمير الرولة يرجون نزوله إلى حماه، فنزل الأمير الدريعي ودبَّروا كل شيء يجب تدبيره، وكان رأي الباشا أنَّ الجيش العثماني يكون مُختلطاً بجيش الدريعي، فخشي الأمير الدريعي من ذلك لأنَّ العُثماني لا يُمَيِّزُ بين عربه وبين جيش الإمام، لأنَّ الجميع على نفس الهيئة والزِيِّ والكلام، فرجع أمير الرولة إلى الباشا وقال له: يكون الجيش بعيداً عنا نصف ساعة،

---

(1) المرجع السابق، ص: 197، 198.

(2) المرجع السابق، ص: 13.

(3) المرجع السابق، ص: 210.

(4) المرجع السابق، ص: 211.

فتضايق الباشا من هذا الكلام، ولكن ما كان يُمكنه أنْ يُغْضِبَ أمير الرولة واضطر لأنْ يخضع لأمره[1].

فبدأت الاستعدادات للحربِ، وتجمعت نحو خمسين قبيلة للحرب مع أمير الرولة ضد جيش الإمام، جاؤوا بكل ما يملكون مع نسائهم وأولادهم، فنصبوا بيوتهم قُرب عرب الرولة، وكانوا خمسة وثمانين ألف بيت، شيء لا يُعرف أوله من آخره[2].

4- المعركة الكبرى قرب حماة:

ولنترك وصف هذه المعركة لفتح الله الصايغ الذي حضر هذه المعركة برفقةِ الدريعي أمير الرولة فيقول : " ثمَّ أخذت التدابير في كلِّ الأمورِ، والخصم أيضاً دبَّر حاله، وحفر متاريس، ونَوَّخَ[3]جماعته، وعمل عُطفة[4]، وقسم حاله إلى قسمين: الفرقة الكبرى أمامنا لأجلِ مُحاربتنا، والفرقة الصغرى أمام جيش الباشا، وابتدأ الحرب بكل حرارةٍ من الجميع. ومن عادات العرب أنهم يبتدئون الحرب كمثل اللُّعْبِ، بفتور عظيم، وبعد ذلك تشتد همتهم وقوتهم ويُصبحون مثل السباع.

وأما العثماني فهو بضد ذلك: أول نزوله بحرارة ثمَّ يَفْتُرْ. فَسُرَّ الباشا من هذه الرؤية، وظن أنه يكسر عرب الإمام بعسكره فقط. وبعد ذلك اشتدت حرارة الحرب، وصار نهار يقف عن وصفه اللسان منا ومنهم إلى غروب الشمس، فانفكت الحرب بعد أنْ وقعت مَقتلة وافرة من الفريقين.

ثمَّ في اليوم الثاني أتت نجدة من قبيلةٍ يُقال لها: الحديدية وشيخها حمود آل إبراهيم. فهؤلاء العُربان من سكان طبراق (تراب) حلب، لا يُشَرِّقُون مثل العرب، بل هم دائماً مُقيمون في نواحي ديرة حلب وسرمين والمعرّة، وعليهم شيء مثل الراتب

(1) المرجع السابق، ص: 213.

(2) المرجع السابق، ص: 214

(3) أي أثار النخوة في رؤوس أتباعه.

(4) سبق تعريف العُطفة في التمهيد بعنوان: قبيلة الرولة في التاريخ.

للوزير، وكلهم بواردية، يركبون الحمير فقط، ولكن بعض كبرائهم فقط يركبون الخيل. فكانوا نحو أربعة آلاف بارودي.

فعملنا حسابنا: كانت عربنا نحو ثمانين ألف مُقاتل من غير جيش الباشا، وأمّا جيش الإمام فكانوا نحو مئة وخمسين ألف مقاتل، ولكن بالحرب والمعارك عربنا أشدُّ حرباً وقُوَّة.

وذلك، على رأي الشيخ إبراهيم، له علاقة بالأقاليم. فهو يقول: إنَّ الأقاليم الحارة لا يكون أهلها أشداء بالقتالِ، بلْ إنَّ سُكان الأقاليم الباردة أشد حرباً وقوة، وبما أنَّ الخصم من سكان ناحية الجنوب فنحن أشد منهم قوة.

وفي اليوم الثاني صار حرب وظهر فعل كبير من جيش الإمام رَجَّتْ منه قلوب الناس، وخصوصاً أهالي حماة. وشاع الخبر أنَّ الأمير الدريعي انكسر والباشا أيضاً، وعزمت الناس على الهرب إلى نواحي البحر. ولم يزل الحرب والقتال معقودين مُدة عشرين يوماً، حتى ضَجَّتْ الناس وكرهت حالها، وعلى الخصوصِ أنَّ الجوع ابتدأ ينتشر لأنَّ كل لوازمنا ولوازم الباشا من حماة، حتى افتقرت وتَعَرَّتْ من جميع المآكل، وحصل الغلاء وعُدِمَ وجود الشيء بالمدينةِ المذكورة. فابتدأ الحُكَّام باستيراد الحنطة من غيرِ أماكن، وأعطى أناس من مؤونتهم لأجلِ تقوية الأمير الدريعي خِيْفَة الهزيمة.

أمّا نحن فلمْ نزل كل يوم في حرب، ونَقَصَ عسكر الباشا إذْ قُتِلَ منه كثير، وابتدأت الناس من عربانا تنسلُّ وتهرب من شدةِ الجوعِ، حتى الجمال التي وضعناها كالمتاريس صارت تأكل بعضها من الجوع، إذْ كان لا يُمكننا أنْ نتركها ترعى أولاً، لأنَّ نار العدو تعمل بنا ما تريد إذْ نبقى من غير وقاية، وثانياً لأنه لمْ يبق شيء في الأرضِ لترعاه، بل ولا للأوادم(1).

(1) أوادم جمع: آدمي.

ولمْ تزل الحرب مُتواصلة يومياً، حتى أنه في بعضِ الأيام كانت تتصل ليلاً نهاراً. وأما أريكة التي كانت جالسة بالعطفةِ، فإنها كانت تنخي الرجال وتُهيّجهم على الهوشة والحرب.

وأكثر الذين يُقتلون من طرفنا تكون هي السبب بكلامها المُهيج للحرب، وكانت دائماً تَعِدُ الشباب أنَّ الذي يأتيها برأس عبد الله الهذال تتزوجه، لأنَّ المذكور صاري[1] عسكر العرب الذين يقاتلوننا، وأبو نقطة صاري عسكر العرب الذين أمام جيش الباشا. فهذان الاثنان صواري عسكر الإمام.

وبسبب رغبة الشباب بأريكة كانوا يرمون أنفسهم إلى الموت، وحتى أنَّ من جملةِ من تقدم وزاحم الناس شاب عظيم وفارس عنتري، وصل عند أريكة وقال: أريني وجهك يا زين الملاح، إذ ما كان رآها بعد، فأخرجت رأسها من وراء ستار العطفة قالت: أتعرف يا شاب ما هو نقدي ؟ هو رأس هذال ابن عبد الله[2]. فَهَزَّ رُمْحَهُ تحت العُطفة، وانتخى ورمى بنفسه في وسط العدو، فما عاد من نزوله لأنه قُتل. فكنت، أنا الفقير، قريباً منها فقلت لها: يا أريكة يَسْلَمُ رأْسُك بالرَّجُلْ[3]، فقالت: مثله كثيرون ذهبوا وما عادوا " [4].

5- انكسار الجيش العثماني:

ثمَ استمرت الحرب بين أمير الرولة الدريعي والجيش العثماني من جهة. وجيش الإمام من جهة أخرى، مع انقطاع المُؤن وازدياد الجوع، فحدث أنْ انكسر الجيش العثماني وهرب إلى حماة، وهذا أزعج الأمير الدريعي لأنَّ العدو صار في مواجهتهِ لوحدهِ.

(1) قائد الجيش.

(2) سبق قبل قليل أن اسمه عبد الله الهذال.

(3) "يسلم رأسك بالرجل" هذه عبارة تقال كناية عن موت الرجل.

(4) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 215- 217.

يقول الصايغ : " ثمَّ لمْ تزل الحرب مُتصلة والجوع يكثر، حتى ضجت الناس عندنا وعند أهالي حماة، لأنَّ البلدة تَعَرَّتْ تماماً من الحبوب والمآكل، حتى أنَّ بيت الأمير الدريعي بن مَشهور بقي يومين من غير أكل.

وفي اليوم الثالث أتى من عند المُلا إسماعيل دالي باشا عظيم مُقيم دائماً في حماة، ثلاث قُفَفِ(1) أَرُزّ، فأمر الدريعي بطحنها جميعاً دفعة واحدة، حتى يأخذ كل واحد من الناس شيئاً قليلاً...ولمْ نزل على هذا الحال سبعة وثلاثين نهاراً، والحرب مُتواصلة يومياً، فقُتل من الفريقين شيء كثير، ثمَّ نهار الثامن والثلاثين اشتدت الحرب من كلِّ الأطرافِ، فانكسر جيش الباشا، وتعطل بكامله ودخلته العُربان وغنمت جميع ما فيه من الخيم والأسلحة والخيل، فانهزم جيش الباشا إلى حماة، وكل العساكر التي استطاعت الركوب ركبت، إلا أنَّ أكثرها ما لحقت خيلها، ودخل العسكر مكسوراً إلى حماة، فارتَجَّتْ المدينة، وخافت الأهالي عند رؤية العسكر المكسور، وفيه من القتلى والجرحى شيء لا يُعَدّ. وهرب كثير من أهالي حماة وحمص إلى الجبالِ، واقترب غيرهم من ساحل البحر.

وأما الأمير الدريعي فقد صَعُبَ ذلك عليه جداً؛ أولاً: بسبب عارة الكسيرة، وثانياً: لأن جيش أبا نقطة الذي كان أمام جيش الباشا ارتدَّ علينا وكثُر عدونا وزادت قوته واشتدت الحرب وزادت قساوة، وانعقد الغُبار إلى الجوِ الأعلى، وانخلط العُربان بعضهم ببعض، وانعقد ضرب السيف فيما بينهم، حتى تَصَبَّغَت الأراضي بالدماء وجرت مثل سيول الماء، وصار نهار وملحمة ما جرى قط نظيرهما.

وأقمنا على هذا الحال ثمانية أيام بعد انكسار الباشا ونحن ثابتون أمام العدو، وأما أهالي حماة فإنهم قطعوا مواردهم عَنَّا، وجلسوا في البلد بكلِّ تحفظٍ، وكانوا يَدورون بالبلد ليلاً ونهاراً، بينما كان أهالي القُرى يواصلونهم دائماً بالأخبار السيئة عنا، وكانوا يسمعون كل يوم مرتين أو ثلاث مرات أنَّ الأمير الدريعي قد انكسر، وصار

(1) قُفَّة [مفرد]: جمعه: قُفَّات وقُفَف: وعاءٌ من خُوصٍ أو نحوه لحمل البضائع وغيْرِها. معجم اللغة العربية المعاصرة، ج3، ص: 1845.

الخبر أيضاً بدمشق، وخاف أهلها أيضاً من هذا الخبر الشنيع " [1]. وانتهت الحرب بانتصار أمير الرولة.

ولمْ يكن يتحقق الانتصار لولا حكمة الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان والخطة التي وضعها لهزم جيش أبي نقطة، وهذا يَدل على خبرة عظيمة في الحروب وإعداد الخِطط، تلك المزية لأمير الرولة أنقذت الجيش والأموال والنساء والأطفال من خطرٍ مُحققٍ كان ينتظرهم.

يقول الصايغ : " فبعد ذلك رأى الدريعي أنَّ أمورنا تتأخر كل يوم، وأننا عما قريب صائرون إلى العدمِ، فتَحَسَّنَ عنده رأي به النجاة كما سنوضحه لمسامعكم. وهو أنه جمع كامل رؤساء القبائل، وعمل ديواناً عظيماً وقال: أريد منكم أنْ تفعلوا ما أقوله، وأنا نهار غد، إنْ أراد الله، أكسر أبا نقطة! ثمَّ قال: أريد منكم في هذه الليلة أنْ تُرَحِّلوا كامل بيوتكم ونسائكم وأولادكم وحوائجكم غربي العاصي من غير أنْ يبقى بيت واحد، إنما يبقى هنا جميعكم: الرجال والخيل والركب والزُّلْم[2]، لا غير، ولكن بدون ضوضاء ولا ضجة، ولا تَدَعُوا العدو يعرف ذلك، أريد نهار غدٍ قبل طلوع الشمس، أنْ لا أرى بيتاً مَنصوباً في هذا النُّزُل بشكل من الأشكال.

فحالاً انفرط الديوان، وكل من راح نَبَّهَ عربه بالرحيل. وفي الليل، ومن غيرِ غوغاءٍ، رحل جميع عربانا وقطعوا غربي عاصي حماة، ولمْ يبق بيت واحد ولا ولد ولا امرأة، إلا الرجال والفرسان فقط.

فقسمهم الأمير الدريعي إلى أربعة أقسام، مُقابل جيش الخصم[3]، وأمر الأقسام الأربعة أنْ يهجموا هجمة واحدة. فدخلوا في الجيش المُعادي، وابتدأ ضرب السيف، وانعقد دخان البارود، وانكسر جيش أبي نقطة، وفَرُّوْا هاربين وإلى النجاة طالبين، وأبقوا جميع أرزاقهم وبيوتهم مَنصوبة. فأمّا الأمير الدريعي فكان أَمَرَ أنْ لا يأخذ أحد

---

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 220، 221.

(2) الزلم، جمع زلمة، أي: الرجال. وهذا التكرار يفيد أنَّ الصائغ يعني أولاً أصحاب الخيل، ثمَّ أصحاب الإبل، ثم المُشاة.

(3) يُريد أنهم أحاطوا بجيش أبي نقطة من الجهات الأربعة.

شيئاً من الكسبِ كي لا يلتهوا عن العدوِّ[1] بل يَطلبونه ويسعون في أثره، وظلوا وراءه حتى قطع تدمر...، فَغَنِمُوا جميع أرزاقه وبيوته وجماله.

أما الشيخ إبراهيم وأنا، فبعد أن انكسر جيش أبي نقطة وركض عربنا وراءه نزلنا إلى حماه وتكلمنا بالذي جرى، فما كان يصدِّق أحد بذلك حتى الباشا نفسه.

وخرج الناس إلى الأماكن المُرتفعة، فكُنّا نرى البرية كمثل الضُّبَّان[2] الأحمر وهو من الرمل والغبار المُتصاعد من أقدام الخيل، وظَلَّ الحَمار ظاهراً بالجو بعد ثماني ساعات. ومع ذلك ما صَدَّق أحد أنَّ الأمير الدريعي بن مَشهور رد الغزو، حتى أتت أناس من القرى شهدت بذلك ونحن أكدناه لهم. فصار الفرح عندهم، وأرسل الباشا حالاً تانار[3] يُبَشِّرُ والي الشام. وصارت الناس تدعوا للأمير الدريعي بن مَشهور بالنصر، وامتلأ العالم من البهجة والسرور" [4].

6- الحلف الأكبر:

بعد الانتصار الكبير الذي حققه أمير الرولة كان فصل الصيف قد مضى، وحان وقت الرحيل إلى نواحي التشريق على حسب عادة العرب، فرحل أمير الرولة الدريعي ومن معه من القبائل ونزلوا في محلٍّ يُقال له: تل الذهب بالقربِ من طبراقِ (تراب) حلب. فهناك كانت نازلة عدة قبائل، يَقول الصايغ " البعض منها كانت معنا وقبلت شروطنا ووضعت أختامها بالورقة، وهم أربعة مشايخ: فراس بن عجيب شيخ قبيلة البشاكنة، عشيرته تحوي على خمسمائة بيت، وأيضاً قاسم الوطبان شيخ قبيلة

(1) يُذكّرنا فعل الدريعي هذا بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد حين أمر الرماة على جبل أحد أن لا يتركوا أماكنهم وينشغلوا بجمع الغنائم، وعندما خالفوا الأمر كان أول الهزيمة من قبلهم.

(2) الضُّبان جمع ضَبّ: دُويبة من الحشرات، وهو يشبه الورل. وقال عبد القاهر هي على حد فرخ التمساح الصغير، وذَنَبُهُ كذنبه، وهو يتلون ألواناً نحو الشمس كما تتلون الحرباء، ويعيش سبعمائة عام ولا يشرب الماء، بل يكتفي بالنسيم، ويبول في كل أربعين يوما قطرة، وأسنانه قطعة واحدة معوجة، وإذا فارق جُحْرَهُ لم يعرفه، ويبيض كالطير. تاج العروس: ج3، ص: 227.

(3) لعل الكلمة تعني المُراسل اليوم.

(4) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 222، 223.

الشمسي، عشيرته تحوي على ألف بيت، كذلك سلامة النعسان شيخ قبيلة الفواعرة، عشيرته تحوي على ستمائة بيت، وأيضاً مهنا الصانع، عشيرته تحوي على ثمانمائة بيت " (1).

ثمَّ توجهوا نحو دير الزور فالتقوا مع الأمير فَحْل الخليل شيخ قبيلة بني سعيد، وهي تحتوي على اثني عشر ألف بيت " فحصل لنا غاية الإكرام والهدايا، وقطعنا الفرات من عنده ودخلنا الجزيرة نحن وجملة القبائل، وتوجهت غير قبائل من المتحدة من قبل نهر الفرات قاصدة الحماد وبرية البصرة " (2).

وبعد أيام وصل مكتوب إلى أمير الرولة الدريعي بن مشهور من الأمير فارس الجربا مضمونه : " نخبركم أنَّ عدة قبائل من ربع أمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود قد انفصلوا عنه بعد أنْ فروا عند حماة، لا يلوون على أمر، وهم الآن نازلون بالعباسية بالقربِ من مسجدِ علي، وهي القبائل التالية: الفدعان، السُّبَعَة، الفكاكا، والمساعيد، والسَّلْقا وبنو وهب: ست قبائل كبيرة، وقد بلغني أنَّ لهم فكراً بالصلح والاتحاد معكم... وخصوصاً بعد الذي جرى عليهم في هذه الأثناء أمام حماة... والآن قد لانت أنفسهم إلى الصلح معكم، فإنْ تَحَسَّنَ عندكم أنْ تُرسلوا إليَّ عبد الله الخطيب(3)، وتُرسلوا معه بورقةِ الشروط، وأنا أتوجه بنفسي معه إلى عندهم، وإنْ شاء الله نأخذهم إلى طرفنا ويتمَّ الصُّلح معهم " (4).

---

(1) السابق، ص: 224.

(2) السابق، ص: 225.

(3) عبد الله الخطيب هو نفسه فتح الله الصايغ، تَسَمَّى به بأمر معلمه لاسكاريس الذي تسمى بالشيخ إبراهيم، وهو رجل فرنسي جاء ليوحد القبائل العربية ضد العثمانيين تمهيداً لحملة نابليون، ولم يجد أفضل من شيخ الرولة العام الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان لشهرته ومكانته وشجاعته لتنفيذ هذا المخطط، فطلب من الصايغ أنْ يُسافر إلى البادية ويبقى مع الدريعي ويسعى لتوحيد القبائل، وفعلاً تمَّ لهم ذلك، تمَّ توقيع وثيقة الاتحاد في الثاني عشر من شهر تشرين الثاني سنة: 1811م = 1226هـ مُقدمة المترجم لرحلة فتح الله الصايغ، ص: 10.

(4) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 225.

وفعلاً سافر الصايغ، ووصل إليهم بعد ستة أيام، فكتب الأمير فارس مكتوباً إلى ضُويحي بن غْبَيْن[1]- أمير قبيلة الفِدعان أكبر القبائل- أنْ يأتي لعنده لإجراء الصلح، وفعلاً في اليوم الثاني قَدِم الشيخ ضويحي بن غبين مع بعض أقربائه، وكان الرأي أن يذهب الأمير فارس مع الصايغ مع الشيخ ضويحي بن غبين إلى منزله، ليجمع كافة القبائل لإتمام الصُّلح، فتمَّ ذلك، وأرسل الشيخ ضويحي بن غبين إلى كبارِ القبائل ليحضروا عنده، يقول الصايغ : " فحضر الجميع، وصار مجلس عظيم يضم نحو خمسمائة نفر من رجال طاعنين في السن ومشايخ وأمراء ومُشيرين[2]، وكل منهم يُبدي رأياً، فالبعض يُريدون الصُّلح، والبعض يريدون أنْ يتوجهوا إلى نجد، والبعض يُريدون الذهاب إلى جبال شمر. وكل واحد في هواه يُخالف الآخر، فرأيتُ أنه من الأنسبِ أنْ أتكلم معهم بالمليح والكلام اللين، عساني أستطيع أنْ أجذبهم جميعاً إلى طرفنا " [3].

وبدأ الصايغ يشرح لهم أهمية الاتحاد مع أمير الرولة، ويُخوفهم من بطش أمير الدِّرعيّة، ويضرب لهم الأمثلة، ثمَّ أخرج لهم صورة الشروط وقرأها عليهم، وعند نهايتها قال: " اعلموا يا إخواننا، من بعدِ جميع ما قُلته لكم، أني لا أريد إلا صلاحكم، بلْ إني أتعهد لكم أيضاً برد جميع ما أخذه منكم الأمير الدريعي عند حماة من بيوت وسائمة وغير ذلك، فكونوا مُطمئنِّي القلب والخاطر واصرخوا: نحن قابلون، إننا مع المُتحدين على الخير والشر حتى الموت. فقامت ضجة عظيمة وصيحة هائلة من فَمٍ واحد: نحن مع المتحدين، وقابلون بهذه الشروط على الخير والشر حتى الموت " [4].

ثمَّ تواعدوا أنْ يرحلوا وينزلوا عند الحلة ويأتي عندهم أمير الرولة، ويسلمهم بيوتهم وجمالهم، ويضعوا أختامهم بورقة الشروط. وبعد أيام اجتمع الجميع عند الحلة، فاجتمع الجميع في بيت شيخ الرولة العام الدريعي، وكان مجلساً عظيماً،

(1) من أحفاده صاحبنا الشيخ عبيد ابن غبين.

(2) مُستشارين.

(3) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 226.

(4) السابق، ص: 228.

فابتدأ بعض الحاضرين يتكلم ويعتب عما جرى في الماضي، فقال الشيخ ضويحي- بن غبين شيخ قبيلة الفدعان-: يا جماعتنا، المعاتبة للنساء لا للرجال، ثمَّ نهض قائماً وأخذ سبع حَصَيَات وطمرها في الأرض، هذه عادتهم في دفن الماضي ونسيانه والبدء من جديد، ففرح الجميع وأيقنوا بالصُّلحِ الأكيد، لأنهم متى طمروا الحَصِيَّات كان الصُّلح حقيقياً من غيرِ نقض قطعاً.

فتمَّ الصلح وقُرأت الشروط مرة أخرى، ووضع الجميع أختامهم، وهم:

- ضويحي بن غَبَيْن أمير قبيلة الفدعان، عشيرته تضم خمسة آلاف بيت.
- علي بن حريميس شيخ قبيلة السلقا [1]، عشيرته تضم ثلاثة آلاف بيت.
- نعيمان بن فهد شيخ قبيلة المساعيد، عشيرته تضم ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت.
- مفضي ابن عيده أمير قبيلة السبعة، عشيرته تضم أربعة آلاف بيت.
- شطي بن عرب أمير قبيلة بني وهْب، عشيرته تضم خمسة آلاف بيت.
- اشتيوي بن طيار شيخ قبيلة الفكاكا، عشيرته تضم ألفاً وخمسمائة بيت.

ثمَّ ردَّ الأمير الدريعي لهم البيوت السوائم كما كان مُتَّفَقَاً عليه، وانتهى الأمر كما أراد الجميع، وبلغ عدد الجميع مائتي ألف نسمة من رجال ونساء وأطفال، بعد ذلك اجتازت العُربان إلى الجزيرة من مقطعِ الحلة[2].

ثمَّ بعد ذلك انضمت قبائل أخرى إلى هذا الحلف القوي حماية لهم من أمير الدِّرعيّة وهم:

- شطي بن فارس شيخ قبيلة الحمايد[3]، عشيرته تضم ألفاً وخمسمائة بيت.
- عوض بن مطلق أمير قبيلة الضفير، عشيرته تحتوي على ألفين وثلاثمائة بيت.

---

(1) هذا خطأ من الناسخ، ولعل الصحيح العجاجرة من الفدعان.

(2) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 228، 229.

(3) لعلها الحماميد نسبة لبني حماد من سكان نجد.

- سلامة بن براق[1] شيخ قبيلة العجاجرة[2]، عشيرته تحتوي على ثمانمائة بيت.
- خُنْكار العُلَيْمي أمير قبيلة الخزاعل، قبيلته تحتوي على ثلاثة آلاف بيت.
- الحميدي بن تامر أمير قبيلة بني طي، عشيرته تحتوي على أربعة آلاف بيت[3].

7- مع عرب العجم والهند:

ثم سار أمير الرولة ومن معه حتى قطعوا دجلة ودخلوا أرض العجم، وقَصْدُهُمْ لقاء الأمير سعد البُخاريّ رئيس قبائل عرب الهند كي يتحالفوا معه كما تحالفوا مع باقي العُربان، وكان الأمير سعد في شوق للقاء الأمير الدريعي بن مَشهور بعد أنْ وصل لعنده الشيخ صقر بن حامد شيخ قبيلة المُضَيَّان[4] وأثار بينه وبين الأمير الدريعي محبة عن بعد، وبعد سفر طويل دام أياماً قطعوا فيها مراحل كثيرة، حتى قطعوا بلاد الكرمان ووصلوا إلى نهر خراسان، يقول الصايغ : " ولمْ نزل نرحل وننزل ونواجه أثناء سيرنا قبائل عرب والتي تُقيم دائماً في طبراق (تراب) عجم أستان، وتحت تدبير الأمير سعد وأوامره، في نواحي سواحل البحر حيث يكون السهل.

ونحن كان مسيرنا بالقرب من ساحل بحر الهند...فمن بعد مسيرنا في طبراق العجم اثنتين وأربعين مرحلة كبيرة، نزلنا بأرضٍ يُقال لها: الهِنْدُوان، ثمَّ جَدَّيْنَا بالسير وكل يوم مرحلة، البعض منها فيها مياه، والبعض منها خالية من المياه...وحين بقي لنا ثلاث مراحل أرسلنا مع هجان من عرب ديرتهم بمكتوب للأمير سعد من طرف الدريعي للسؤال عن خاطره والسلام عليه....

ثمَّ رحلنا أول يوم وثاني يوم، وفي الثالث، وهو اليوم الذي سنصل فيه عنده في منتصف النهار، إذ بالغبار معقود من صدر البرية كأنه غَمامة مُمطرة.. وإذا به الأمير

---

(1) لعله شيخ قبيلة السلقا.

(2) ذكرها عمر رضا كحالة فقال : " العجاجرة: عشيرة من الفدعان، من عبيد، من عنزة". معجم قبائل العرب: ج2، ص: 755.

(3) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 232.

(4) المضيان: بطن من السلقة (السلكة)، من الجبل، من العمارات، من عنزة ببادية العراق، وفروعه: الحمايرة، الخنفة، السنيد، والزريعة. معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة: ج3، ص: 1107.

سعد جاء للقائنا...وحالاً استعد الأمير الدريعي وأولاده وكثير من قبائلنا والشيخ إبراهيم[1] وأنا للقائهم، وكذلك سعد وكبار قبائله ركضوا لمُلاقاتنا واجتمعنا مع بعضنا بين الصفين، وسلمنا على بعضنا...ودُعِيْنَا عند الأمير سعد نحن وكامل من معنا من أمراء ومشايخ وكبار القبائل مُدة ثلاثة أيام على سفرة الأمير سعد....

ثم كُلَّ يوم كنا نعمل معه خلوة ونتكلم، حتى فهم المادة جيداً، ودخل في عقله مطلوبنا، فوافق على ذلك وسُرَّ جداً إذْ قال: على ما أعلم أنَّ جميع أهالي بلاد الهند غير راضين على حُكامهم اليوم، ويتمنون أنْ تحدث أمور مثل هذه لأنهم مَظلومون.

وأما أنتم فلا تفكروا بشيء فإني أُقدِّم للجيش جميع ما يلزم، وإذا اقتضى الأمر فإني أُرسل من عندي أُنَاساً وجمالاً وذخائر لمُلاقاة الجيش. فأنا معكم على كل ما تريدونه من العمل. ثمَّ قرأنا ورقة الشروط، فَسُرَّ منها جداً. لكنه ما وضع اسمه ولا خَتْمَهُ بها، بل عمل لنا ورقة ثانية خاصة به لنا، ووضع اسمه وختمه بها وكانت بهذه الألفاظ :

بسم الله الرحمن الرحيم، أقول أنا سعد بن بدر بن عبد الله بن بركات بن علي البُخاريّ رضي الله عنه، هو أني قد رهنت لساني بقول ثابت لدى حافظين هذه الورقة، بأنْ أكون مُوافقاً لهم ومُتحداً معهم، وقابلاً لشروطهم المرقومة في ورقةٍ عمومية غير هذه، وأكون مُساعداً ومُعيناً لهم في جميع ما يريدونه ويبغونه، وأكون حافظاً لسِرِّهِمْ، وعدواً لعدوهم، وصاحباً لصاحبهم. وقد أعطيت هذه الورقة حتى يكونوا مُطمئنين من طرفي، ومُتأكدين من كلامي، والسلام على سيدنا ومولانا الأعظم فَحْلِ الرجالِ الإمام الغالب علي بن أبي طالب رضي الله عنه والسلام، ثمَّ وضع توقيعه وختمه ودفعها لنا...

وفي اليوم الثاني نادى بالرحيل وقمنا وطلبنا الرجوع إلى ديرتنا. وما زلنا نرحل يومياً لأننا نريد أنْ نلحق جانباً من فصلِ الصيفِ في بلاد سورية، إذ كان قد مضى الوقت وانتهى فصل الربيع. ثم نزلنا بعض المنازل، ووجدنا هناك مُحبنا الأمير هَبَش،

(1) تقدم أنه لاسكاريس العرب الذي تسمى بالشيخ إبراهيم.

فاجتمعنا به وسألنا عن أحوال سعد فأخبرناه بالذي جرى وأريناه الورقة، فَسُرَّ جداً وقَبِلَ بشروطنا ووضع اسمه وختمه في الورقة العامة. وقبيلته يقال لها الهوارج تحتوي على مقدار ثلاثة آلاف بيت، من القبائل المَشهورة بالغِنَى والاسم " [1].

ثمَّ جرى تحالف بين شيخ الرولة الدريعي والأمير الرُّديني بن خُنْكَار[2]، رجل معروف من طوائف العرب والعجم، وكان لا يُفزعه شيء على وجه الأرض غير الأمير سعد البُخاريّ وكانا (سعد والرديني) من الشيعة الروافض، فأرسل الأمير سعد له برسالة وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، رب الخلق أجمعين، والصلاة والسلام وأعظم التحيات والإكرام على شَرَفِ الأئمة وأجملِهِم، وأكبرِ الأبناء وأعرفهم، وأحسن الخلفاء وأفرسهم، الإمام الأكبر، الكبريت الأحمر، سيدنا ومرشدنا الإمام عليٌّ الأعلى صاحب سيف ذي الفقار، لعن الله من عاداه والويل ثمَّ الويل لمن آذاه، وطوبى لمن أجاب دعاه وبعد: هذا كتاب من أسعد[3] البُخاريّ، نسيب الجدين، وأصيل النِّسْبَتَيْن، إلى أخينا الأمير الرديني بن خنكار، والثاني نُعَرِّفُكم أنه حضر إلى بلادنا وداس ترابنا أخونا الأمير الدريعي بن مَشهور بن شعلان، من سكان ديرة بغداد والشام، فحضر من بلاده إلى عندنا، يقصد صُحْبَتَنَا ومعرفتنا، ويريد محبتنا. فحلَّ ضيفاً عندنا وأكل خبزنا، وأجرى المحبة معنا، ونحن أَكَّدْنَا له محبتنا، وصحبناه وأعطيناه كلاماً وثيقاً وصار كواحد منا. فكما استحسنتُ هذا الأمر الذي سيؤول فيما بعد إلى نجاحنا، كذلك أريد منك أنْ تفعل معه كما فعلتُ أنا، وترى الورقة التي بيده مِنَّا، وتعمل بموجبها، وإياك والخلاف فتخرج من خاطرنا، وتكون خالفت قول سيدنا الإمام الأعظم كما هو معلوم، وقوله تعالى في الجَفْرِ[4] الجامع والنور

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 237- 239.

(2) وأيضاً كان هذا الصلح من تدبير الشيخ إبراهيم أي: لاسكاريس العرب.

(3) الصحيح: سعد.

(4) علم الجفر: علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم قبل وقوعها. المعجم الوسيط، مادة: جفر.

اللامع : " لا تكرهون شيئاً فعسى هو خير لكم " [1]. فأنا أعرف أنَّ الاتحاد مع هؤلاء الناس به خير لكم، وللعرب أجمعين والسلام.

وبعد يومين أرسل الرديني خبراً أنه آت إلى مضافة أمير الرولة، فعزم الأمير الدريعي مع أولاده وكبار قومه فاستقبلوه ورَحَّبُوا به، وبعد كلام طويل طلب الرديني إطْلَاعه على الورقة التي كتبها الأمير سعد للدريعي وتتضمن قبوله لشروط الصلح مع الختم الخاص به، فأعجبه ذلك وكتب بيده ورقة مثلها تماماً وختمها وقدمها للدريعي[2].

(1) يقصد قوله تعالى : " وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ"، سورة البقرة، الآية: 216.

(2) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 240- 243.

قائمة بالقبائل التي وَقّعَتْ على الرباط

Noms des Tribus	Noms des Commandeurs des Tribus	Nombre des Tentes composant chaque Tribu	Nombre approx. des armes de chaque Tribu
العمور El-Ammour	سلطان البراك Soultan el Brrak	500	5000
الحسنة El Hassnné	محمد الفاضل ابن ملحم Mohammed el fadel Eben Melhem	1500	15,000
ولد علي Woulde Ali	دوخي ابن سمير Doukhi Eben Sammir	5000	50,000
السرحان El-Sirhaan	ادغم ابن علي Adghum Eben Ali	1200	12,000
السردية El Sardié	فدغم ابن سراج Fedghem Eben Serrage	1800	18,000
بني صخر Benni Sakhour	سلامة ابن صخر Sellamé Eben Sakhour	2700	27,000
الدولة El Zoualla	الدريعي ابن شعلان Draghy Eben Chahllan	5000	50000
الحربا El harba	فارس الحربا Fares el harba	4000	40000
السوالمة El Swalleme	عواد ابن جندل Auad Eben Gundal	1500	15000
العلما El Ollama	طليع ابن سراج Taffyshan Eben Serraje	1400	14000
عبدالة Abdeela	سلام ابن مجيل Selaam Eben Mehgeil	1200	12000
الرفاشة El Refaaha	زراك Zarrak	800	8000
الوالدة El Wualdé	جندل المهيد Gundal el Mehid	1600	16000
المفنفخ El Mofanfakhr	حمود التامر Hammoud el Tammer	5000	50000
الزراع El Cherarah	عابد ابن صبح Abed Eben Sobach	2300	23000
الاشجعا El Achgaha	دهاس ابن علي Dehasse Eben Ali	2000	20000
El Halalaa	جاسر ابن جرمس Giasser Eben Germagh	3000	30000
الجلاس El Giallan	زراك ابن صخر Zurak Eben Sakhour	1200	12000
الجهما El Giahmaa	جوارح ابن مجيل Giarah Eben Megguel	1500	15000
البليس El Ballahys	غالب ابن رمضون Ghaleb Eben Ramdoun	1400	14000
المشلخ El Maslakh	فارس ابن مجد Fares Eben Mejid	2000	20000
الفرسا El Frassa	زعيران ابن جواد Zehayran Eben Giouad	2000	20000
المحلق El Mahlac	نابق ابن هابد Nabec Eben Habed	3000	30000
المشاخات El Mechakhtat	روضان ابن العبد Roudan Eben Abed	1500	15000
الذكور El Zekour	مطر ابن فيحان Mattar Eben Fayhan	800	8000
البشكر El Bechakeys	فارس ابن عجيل Fares Eben Aggil	500	5000
الشعي El Chaiafy	قاسم الكوكبان Cassem el Coukban	1000	10000
القواهر El Gouaher	سلامة النفحان Selamé el Nakhfan	600	6000
الصيا El Selbaa	محمد الصانع Mohammed el Sanah	800	8000
البرغان El Berghan	رويخي ابن غبين Roueikhy Eben Ghabein	5000	50000
السكة El Sakkeh	علي ابن جريمس Ali Eben Geraimesh	3000	30000
المساعيد El Massahid	محمد ابن فهد Mohammed Eben Fehed	3500	35000
السبعة El Sabhaa	مهدي ابن هيد Mahdi Eben Hid	4000	40000
بني دهب Benny Dahabb	ظاهي ابن حرب Chahi Eben Harab	5000	50000
الفكاكا El Fekaka	مطوي ابن طيار Mattoui Eben Tayar	1500	15000
الحاميد El Hamamid	ظاهي ابن فارس Chahi Eben Farés	1500	15000
القنيفير El Deffir	عوض ابن طلق Auad Eben Mattar	2300	23000
الحاجر El Hagiagar	سلامة ابن براك Selamé Eben Barac	800	8000
غزاعل El Khezaal	خنكار العليمي Khounkiar el Aliny	3000	30000
بني طي Beny Tay	حمدي ابن تامر Hamdi Eben Tamer	4000	40000
الهوارج El Houareg	الحقن ابن محدان Hafac Eben Mahdan	3500	35000
المعاجز El Meahajy	رديني ابن خنكار Redaini Eben Khounkiar	6000	60000
البركاته El Berkajé	سعدون ابن ... Sahdoun Eben Menuali	1300	13000
النعيم El Nahimm	فهد ابن صالح Fahad Eben Saleh	300	3000
بو حربا Benharba	علبان ابن نجد Alyan Eben Nahjed	500	5000
		102200	1,020,000

٣٢٤

وثيقة من كتاب فتح الله الصايغ تُبين أسماء القبائل وأسماء شيوخها وأمرائها الذين وقعوا على رباط التحالف القبلي مع أمير الرولة الدريعي بن مشهور.

وبذلك تكون مُهمة أمير الرولة قد انتهت في بلاد العجم بضم أكبر القبائل إلى اتحاده، فنبَّه بالرحيلِ بكلِّ سرعةٍ للعودةِ إلى بَرِّ الشام، ولم يزل يسير حتى دخل طبراق (تراب) بغداد، ثمَّ قطع دِجلة ووصل إلى الجزيرة، يقول الصايغ : " فابتدأت تتوارد علينا أخبار (أمير الدِّرْعِيّة) الإمام عبد الله بن سعود، وبلغنا أنَّ الأمير عبد الله الهذال رجع عنده مكسوراً ومنهوباً، وأخبره بالذي جرى عليه من الأمير الدريعي في بوادي حماة، فدخله الغيظ والحمق، وقَرَّ رأيه على إرسال جيش عظيم بقيادة ابنه إلى سورية وَرِبْحِ أهلها، فمنعه أكابر ديوانه من ذلك، وأشار عليه واحد من مُدبريه يُقال له أبو محسن قائلاً: إنْ كان يمكن أنْ تعمل طريقة لجذب الأمير الدريعي إلى طرفك واكتساب محبته فيكون ذلك أفضل، ولا سيما وأنَّ أمير الرولة الدريعي أصبح الآن قوياً جداً، وأنت لك عدو كبير من طرف العثماني، إذ كان يُشْتَمُّ من الأخبار أنَّ محمد علي باشا على وشك السفر لأجل أخذ مكة والمدينة وردِّ الإمام إلى بلاده "[1].

8- رسالة من الإمام الأمير عبد الله بن سعود إلى الأمير الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان :

أتمَّ أمير الرولة رحلته فقطع الفرات بالقرب من بلدٍ يُقال له هيت، وصل الحماد قاصداً تدمر وبَرَّ الشام " وإذ مُقبل علينا هجان وبصحبته مكتوب إلى الدريعي من عند أمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود – رحمه الله - من غير خَتْمٍ، هذا من جملة عاداتهم أنهم يبقون مكاتيبهم مفتوحة من غير ختم...وكان بهذه الألفاظ:

بسم الله الواحد الأحد الفرد الصمد، خَالِقِكَ ومُفَرِّق أصابعك، من بعدِ أنْ نقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، من عبد الله بن سعود بن عبد العزيز[2] القائم بسيف الله على القوم المشركين، لإشهار حقيقة الدِّين، إلى ولدنا الدريعي ابن شعلان هداه الله إلى الصراط المُستقيم آمين. نُعلمك يا ابن شعلان إنْ كُنتّ تؤمن بالله وحده ولا تشرك به أنْ تُطيع أمر عبد الله، القائم بأمر الله، تحضر حالاً إلى عندنا وترفع من بالك كامل الوساوس، وأنت عندنا بأعَزِّ منزلة وقَبول، فقد صفحنا

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 244، 245.

(2) أخطأ في النسب والصواب: عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود.

عن جميع زَلَّاْتِكَ، وغفرنا وسامحنا كل سيآتك، فإنْ حضرت إلى عندنا جعلناك واحداً منا، وإياك والعنادَ فإنه من أعظم الكفر، والسلام على من أجاب المطلوب، وجُعِل من أهل الجنة محسوب، والإمضاء الرهوب من عبد الله بن سعود ابن عبد الله " [1].

وبعد التشاور اعتمد أمير الرولة رأيه في الذهاب إلى أمير الدِّرعيّة، وشاع الخبر فأتى كبار القبائل وودعوه، وأمر ابنه الأمير صحن أنْ يرحل بالعُربان ويذهب إلى حوران إلى أنْ يحضر عن طريق الحجاز، وطبعاً كان بصحبةِ الدريعي في رحلته إلى الدِّرعيّة ابنه سعدون، والشيخ إبراهيم (فتح الله الصايغ)، وابن أخيه الأمير هجري...، واثنان آخران من وجوه العرب، وخمسة عبيد[2].

وبعد أربعة عشر يوماً من المسيرِ وصلوا إلى الدِّرْعِيَّةِ، وحالاً أخبر الحرس أمير الدِّرعيّة ابن سعود بوصول أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان، فأمر بقُناق[3] لهم نظيف ومفروش، وأمر لهم بالغداء فوراً، ثمَّ استأذن الأمير الدريعي فدخل إلى مجلس ابن سعود، وبعدما جلس " ابتدأ يُسَلِّمُ عليه بهذا الكلام: عساك طيب يا ابن سعود، عساك عدل، لعلك مبسوط، وهو يرد عليه: لله الحمد طيب يا ابن شعلان، ولكن بوجه عبوس يرد السلام. ثمَّ جلسنا نصف ساعة، فلمْ يأمر بالقهوة ولا تكلم، فهذه علامة الغضب.

فبعد ذلك قال له الأمير الدريعي: ما لي أراك يا ابن سعود عابساً فينا ولا تتكلم معنا؟ نحن وَطِأْنَا محلك والآن عندك، فتكلم بالذي في قلبك علينا، فردَّ عليه أمير الدِّرعيّة قائلاً: أنت عليك ذنوب كثيرة، وأفعالك لا تُغتفر:

أولاً: عصيت عليَّ.

ثانياً: ضربت قبيلة بني صخر التي في بلاد الجليل مع علمك الأكيد أنها تَلُوْذُ بي.

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 246، 247.

(2) المرجع السابق.

(3) قناق: نُزُل.

ثالثاً: أفسدت العُربان عليَّ وجعلت لك حزباً ضدي.

رابعاً: كم وكم من الغزوات التي أرسلْتُهَا أنا فطلعتَ ضدها وضربتها وسفكت دماءها وعطلتها عن أوامري.

خامساً: قَوَّيْتَ الرُّوْم - يعني العثمانيين- عليَّ في مادة حماة، وكسرت عُرباني وأخذت أموالها وسفكت دماءها حُبَّاً بخاطر العثماني، الذي هو أكبر عدو لله من القوم المشركين، شرَّابيّ المُنْكَرِ، لوطيين، وغير وغير أشياء من التي فعلتها ضدي وقصَدْت بها تدميري وخرابي، فإذن مالك عندي سماح اذهب إلى قُناقك.

فاحْمَرَّتْ عيون - أمير الرولة - الدريعي ابن الشّعلان، ودخل عليه الغيظ والحمق، ونهض قائماً، وتوجهنا جميعنا إلى قناقنا، وجلسنا في تفكير ووسواس أشكال وأشكال " [1].

وفي اليوم الثالث أرسل الدريعي إلى أمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود من يقول له: يقول لك الدريعي: الذي في خاطرك افعله عاجلاً، ولا لوم عليك إذ ما لك ذنب، فأنا باختياري رميت روحي بيدك.... فقال: " اعلم يا ابن سعود أنني الآن بيدك، وليس معي غير أحد عشر نفراً، ومن المؤكد أنه لا يمكنني أنْ أقاتلك بهم، إذ من المعلوم عندي أنَّ عندك مثلهم ألوف وربوات، فإذا نفخت علينا تعملنا رماداً... فجيوشك كثيرة وسيفك طويل، فإن كنت حقاً أنت أمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود سُلطان العرب والحجاز واليمن، رُدَّنِي إلى مكاني وخذني بقائم سيفك، فيكون لك الفخر بذلك...، وأكثر من ذلك ليس عندي ما أقول، فافعل ما تريد.... فما أنا إلا واحد من جملة ألوف وصفوف، إن قُتلت لا أُنْقِصُ، وإن بقيت حياً لا أُكثِّر، تَسلم طائفة بيت الشّعلان وصحن أميرهم[2]، ووراءه عدة قبائل وعشائر لا تُعد....

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 252.

(2) وهذا دليل تاريخي وعلمي مؤكد على إمارة الأمير صحن بن الدريعي بن مشهور الشعلان على قبيلة الرولة بعد أبيه.

فتبسم الإمام بضحكة خفيفة وصار يلعب بذقنه[1] ثمَّ قال: قم ارجع إلى محلك واسترح، لا يصير إلا الخير، وأمر العبيد ألا يعودوا إلى الحَوْطَةِ علينا، فرجعنا إلى منزلنا وحالاً وصل الغداء من بيت أبو السلام، فاطمأنينا نوعاً ما وسكن روعنا، ولما كان الغد استدعانا عنده فحضرنا وأظهر البشاشة والميل إلينا، وأمر بالقهوة لأننا إلى الآن لمْ نكن قد شربنا قهوته، وبعد ذلك سلم على الأمير الدريعي سلام المحبين، وسأله عن الذين معه كل واحد بمفرده، إلى أنْ صار الدور لي، فقال له: هذا عبد الله الخطيب. فالتفت إليَّ وقال: أنت عبد الله الخطيب النصراني؟ قلت: نعم أنا هو. قال: يظهر إنْ فعلك أكبر منك. قلت: نعم... فضحك وقال: قد حققتَ جميع ما قيل لي عنك، ولا أريد منك سوى سؤال واحد أريد أنْ تُجيبني عليه بالصواب وتقنعني، قلت: ما هو؟ قال: هذا الرباط الذي لكم خمس سنوات تشتغلون به ما هي الغاية منه؟ فقلت: يا سيدي هذا شيء واضح كالشمس فنحن بواسطة الحرية عملنا على اتحاد القبائل وجعلناها رَوْقَاً[2] واحداً مع بعضها، وجعلنا على رأسها الأمير الدريعي ابن شعلان وذلك لامتلاك عربستان، كي نكون حصناً لك في وجه الأتراك. قال: قوي مناسب...ثمَّ أمر بالقهوة أولاً وثانياً وثالثاً وهذا عندهم كرم زائد "[3].

وبعد أيام من إقامتهم تمَّ الاتحاد على أنْ يصير شيخ الرولة الأمير سُلطان الشّمال، وأمير الدِّرعيّة سُلطان القِبلة، ويكونا روحين في جسدٍ واحدٍ، وتحالفا على السيفِ والمصحفِ، وتعهد الإمام ابن سعود أنْ يَمُدَّ الأمير الدريعي بالمال والرجال لاستملاك عربستان إنْ طُلب منه ذلك، وتمَّ قراءة الفاتحة على ذلك.

وفي اليوم التالي استأذن الأمير الدريعي حليفه أمير الدِّرعيّة بالرحيل فقال له: يا ابن شعلان كأنك قد مللت منا سريعاً؟ قال: أستغفر الله لا يمل أحد من رؤيتكم، لكن لا بُدَّ من رجوعِ الغريبِ إلى وطنه. فقال له: حاشا، أنت لمْ تبق غريباً، فنحن وأنت بالحال واحد، فإن كان مرادك ذلك فليكن كما تريد.

(1) لحيته.

(2) الروق: قرن الدابة. المعجم الوسيط: ج 1، ص: 383. أي جعلها قبيلة واحدة.

(3) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 254، 255 والمُلاحظ أنَّ الصايغ صاغ هذا الكلام بعبارته.

وقَبْلَ سفر أمير الرولة جاءت الهدايا من أمير الدِّرعيّة وهي: سبعة رؤوس خيل غالية الثمن، وسبعة هجن، وسيفاً للدريعي ثَوْبُهُ جلد أسود، لأنهم يُحَرِّمُوْنَ اقتناء السلاح من الذهب والفضة، ومائة ريال افرنجي، وودع أمير الرولة حليفه أمير الدِّرعيّة وعاد إلى حوران المكان الذي اتفق مع عربِهِ ليجتمعا فيه(1).

وبذلك تنتهي قصة عبد الله الخطيب (فتح الله الصايغ) مع أمير الرولة وشيخها العام الدريعي بن مَشهور الشّعلان، بعد أنْ تمَّ له ما أراد من توحيد القبائل ضد العثماني، باتفاق مع مُعلمه الشيخ إبراهيم (لاسكاريس العرب) وتمهيداً للحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت، وكل ذلك كان بتخطيط الشيخ إبراهيم (لاسكاريس العرب) الفرنسي الذي طلبتْ منه بعض الشخصيات السياسية الفرنسية أنْ يقوم بالتمهيدات الأولية لكسب صداقة أُمراء البادية، وبذلك يُعتبر لاسكاريس جاسوس نابليون القائد الفرنسي المَشهور الذي كان يُعِدُّ لحملة فرنسية على الجزيرة العربيّة والشام، لكن انكسار القوات الفرنسية في روسيا، وعودته مهزوماً إلى فرنسا حالت دون تحقيق هذا الهدف، وذهب تعب سبع سنوات أمضاها لاسكاريس مع تلميذه فتح الله الصايغ في البادية والعُربان أدراج الرياح(2).

وورد نص في كتاب " لاسكاريس العرب " يؤكد حملة أمير الدِّرعيّة على سوريا كما ذكرها الصايغ، وهي رسالة أرسلها بوركهارت للجمعية الإفريقية في لندن وهذا نصها:

رسالة لسير جوزيف بانكس، الجمعية الإفريقية، لندن

من ج. ل. بوركهارت، دمشق (مُقتطفات حزيران 1812م)

المعلومات التي تلقيناها من الصحراء، وإنْ كانت غير دقيقة، تحمل المرء على التفكير بأنَّ أحداثاً كبيرة قد جرت في سوريا إبَّان الأشهر الماضية، أرغب في تقديم تقرير عنها في الحال، واعداً بإكماله في أسرع وقت بمعلومات أوثق.

(1) السابق، ص: 270، 271.

(2) انظر: السابق، ص: 17.

عاشت دمشق، شأنها في ذلك شأن المُدن السورية الأخرى، مِنذُ شهر آذار، مذعورة من هجوم سعودي: لقد قرر أمير الدِّرعيّة -الإمام ابن سعود- مُتابعة تحرير المدن المُقدسة من نِيْرِ الأتراك، إنه يرجو – بعد كربلاء ومكة والمدينة – تطهير دمشق من وثنيتهم حسبما يقول. وستتبع القدس هذه المدينة.

جيش عملاق مُجَنَّدٌ في الجزيرة العربيّة في طريقه إلى سوريا. الحويطات وشمر وحرب، وهي قبائل مُحاربة مَشهورة تُشكل هيكله، مدعومة بوحدات من عُمان والحجاز، ويقود الأمير عبد الله – ابن الإمام سعود- هذا الجيش يؤازره قائد يدعى (حرك)، وآخر اسمه (أبو نقطة) شيخ عسير. التقديرات الأولية المجنونة تتراكض في الأسواق: يتحدثون هنا عن خمسين أو مائة أو مائتي ألف من الرجال...

ويقوم الأتراك المُتحصنون في ثكناتهم بتمارين تستحق الرثاء، توقعاً لمعارك ستأتي، إلا أنَّ المُشَاة، المُتأخرة رواتبهم أربعة أشهر، يُفَضِّلُوْنَ الفِرار من أماكنهم على الدفاع عن الأسوار. أما الخَيَّاْلَة، الذين يُعَامَلون معاملة أفضل، فإنهم يقومون بطلعات حذرة على طريق مزيريب، دون أن يعثروا فيها إلا على كشافة تائهين تُعلق مشانقهم هنا وهناك.

وزيادة في القلق، يُحكى أنَّ بدو سوريا تجمَّعوا بدورهم، في مكان ما في الشّمال، وأنَّ تحالفاً مع أبناء عمهم السعوديين يبدو لا مفر منه: وبذلك يُمكن أنْ تسقط حماة وحلب قبل دمشق.

ولم يجتاح القلق، مع ذلك، جميع القلوب، فرعب البازار يُجيبه هدوء المساجد. أنت تعلم أنني أُخالط هنا رجال الدِّين: لقد ظهروا لي هادئين جداً، واثقين من رحمة الله وعدالة الإمام ابن سعود، راغبين في الحوار حول العبادات والعقائد مع العلماء المُرافقين للإمام. أنا نفسي، وأعترف بذلك، أشعر بأنني شديد الفضول للقاء هؤلاء الرجال، ولو كان ذلك في مدينة خَرِبَةٍ....

المبحث الثالث:

الحرب بين الرِّوَلَة والحِسَنَة

هذه الحرب جرت بين شيخ الرولة الأمير الدريعي بن مَشهور، وبين شيخ المنابهة الشيخ مهنا الفاضل الملحم[(1)]. وقد ذَكَرَهَا بتفاصيلها فتح الله الصايغ في رحلته، وذلك أنه كان قد نزل ضيفاً عند أمير الرولة، وأصبح كاتباً عنده لأنه لم يوجد من يعرف الكتابة من أفراد قبيلة الأمير الدريعي، وكان ذلك من حسنِ حظِّ الصايغ كما يقول هو عن نفسه[(2)].

وبعد إكمال مُدة الضيافة وهي ثلاثة أيام على عادة العرب والبدو صارح الصايغ الأمير الدريعي قائلاً : " واعلم أنَّ سبب مجيئي عندك هو التوجه إلى بغداد بمسألةٍ ضروريةٍ، ولكن مَحبتك أنستني أشغالي، وأَوَدُّ أنْ أكون في عِشْرَتِكَ دائماً. فسُرَّ من هذا الكلام وقال: أنت مثل ولدي، والذي تشور عليَّ به فإني سأعمل به " [(3)].

... وثاني يوم بعد طلوع الشمس ارتحل عرب أمير الرولة يتقدمهم ابنه الأمير صحن بخمسين خيالاً، ومن خلفهم خمسمائة خيال مع النساء في الهوادج تحملها الجمال إلى أنْ وصلوا المكان المقصود على حافةِ الفراتِ في منزلةٍ يُقال لها: الحلاجة، ثمَّ رحلوا في اليوم التالي ونزلوا الزور" فركب فحل الخليل وبصحبته نحو ألف خيال، ولاقى الأمير الدريعي، وصار لعب خيل وانشراح، ودعى الأمير الدريعي عنده، فَرُحْنَا تلك الليلة وتَعَشَّيْنَا عند فحل. فكان الأمير الدريعي وأخوه فجر - أبناء الأمير مَشهور الشّعلان -، وهو أكبر منه بالعمر، لا بالمعرفة والقدر، وجميع أقربائه، ومعنا نحن مائتي خيال، فتعشينا عنده، وبعدها ركبنا ورُحْنَا إلى البيوت " [(4)].

---

(1) الملحم: أمراء المنابهة وهم فرقة من الحِسنة من عنزة بمحافظة حمص. عشائر الشام، وصفي زكريا، ج 2، ص 94، معجم قبائل العرب، عمر كحالة، ج3، ص: 1136.

(2) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 103.

(3) السابق، ص: 103.

(4) السابق، ص: 104.

وفي اليوم الثاني قطع أمير الرولة الفرات، ودخل الشامية[1] وتوجه غرباً بأرض يُقَال لها: الطافح من حكمِ حلب، وفي اليوم الثاني وصل مكتوب للدريعي من مهنا الفاضل قرأه الصايغ وكتب الرَدَّ عليه.

يقول فتح الله الصايغ : " وثاني يوم ورد علينا مكتوب من الشيخ مهنا الفاضل، وَرَدَّ عليه الأمير الدريعي بن مَشهور بِخطابٍ مماثلٍ.... وبعدها تهيأ أمير الرولة لحرب الشيخ مهنا الفاضل أمير المنابهة....

وبعد أربعة أيام ركب الدريعي الشّعلان ومعه جميع القبائل وكان عددهم نحو ستة آلاف خيال جميعهم رَمَّاحة، ويصحبهم نحو ألف ذَلُوْل مراديف[2] جميعهم يحملون بواريد بتفنك فتيل[3][4].

فمشى أمير الرولة بجيشه ومن معه من القبائل حتى نزل بأرضٍ يُقال لها: الطامة، تبعد يومين عن حماة شرقاً، وكان بقي بينه وبين الشيخ مهنا يوم فقط، لأنه كان نازلاً بأرض اسمها بَرّي، تبعد يوماً عن حماة، ثمَّ بعد خمسة أيام من ذهاب الدريعي وصلت البشائر أنه قد انتصر على الشيخ مهنا الفاضل أمير المنابهة، وغَنِمُوا طروشاً وجمالاً ونوقاً وخيلاً... [5].

... ثمَّ بلغنا أنَّ ناصراً وأباه الشيخ مهنا الفاضل ذهبا لدمشق ليشكيا حالهما إلى الوزير، ويُحضرا العساكر لإبعاد الدريعي من الديرة. فاضطر الباشا أنْ يكتب المكاتيب إلى قبائل حوران وبلاد الجليل، وألزمهم أنْ يكونوا في إعانة الشيخ مهنا وطاعته ومساعدته على الدريعي، فبعض القبائل دخلت في طاعة الشيخ مهنا -لا

(1) يقصد الأرض الشامية.

(2) الذلول هو الجمل، ومراديف يعني كل اثنين على جمل.

(3) تعمل بإشعال الفتيل ليس لها قداحة، والأولى آمنة أكثر للبدو في حِلهم وترحالهم.

(4) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 108.

(5) السابق، ص: 108.

خوفاً من الباشا- ولكن محبة ببيت الملحم[1]، وبعضها عملت عكس ذلك والتحمت مع الدريعي نكاية بالباشا.

وانقسمت العُربان إلى قسمين، وكل يوم تقع غارة وحروب، حتى عجزت الحكام عن تلك الفتنة، وأتت القبائل من البرية فمنها من كان مع أمير الرولة الدريعي، ومنها من كان مع أمير المنابهة مهنا الملحم، واشتعلت النار وانتشرت في برية عربستان حتى انقطعت السابلة وامتنعت القوافل عن السفر.

ثم رحلنا ونزلنا في مكان يقال له القمقوم يبعد يومين عن القريتين، وهناك ركب صحن بن الدريعي المَشهور ثاني يوم وغزا قبيلة مهنا.

فبعد ذهابه بيومين حضر عندنا غزو كبير من عرب مهنا، كان عقيدهم الشيخ فارس بن مهنا، وغنموا من عندنا مائتين وعشرين جملاً، ولمْ يَلحقهم أحد لأنَّ الطرش كانت تَرعى بعيداً عن البيوت نحو ساعتين حسب العادة، كانت الخيل أكثرها مع صحن بن الدريعي الشّعلان.

وحدث بعد يومين أنْ عاد صحن بن الدريعي بن مَشهور وهو كسبان من عرب مهنا مائتين وعشرين جملاً، الشيء الذي يكاد أنْ لا يُصدق أنْ يكون الكسب نفسه لا أكثر ولا أقل.

وحكى لنا الشيخ صحن بن الدريعي أنَّ أحداً لمْ يطلبهم لأنَّ الخَيَّالة كانت مع الشيخ ناصر، النتيجة كما صار فيهم صار فينا حتى بالوقت نفسه، ونُقل هذا الأمر عنا وعنهم حتى صار سيرة بين العُربان، لأنه من الصُّدَف التي يُحكى بها[2].

---

(1) وجدنا أنَّ عائلة الملحم ما زالت تحظى باحترام ومحبة وتقدير أهل سوريا حتى عصرنا الحالي، ويتمتع الشيخ ثامر الملحم بمكانة كبيرة وسمعة طيبة في حمص وبلاد العرب والعجم.

(2) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 109- 111.



تحالفات أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان

- **المبحث الأول:**

تحالف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع أمير الدِّرْعِيَّة.

- **المبحث الثاني:**

تحالف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع نابليون بونابرت.

- **المبحث الثالث:**

تحالف أمير الرولة الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان مع أمير العجم سعد البُخاريّ رئيس قبائل الهند.

المبحث الأول:

تحالف أمير الرولة

الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع أمير الدِّرعيّة[1]

بعد أنْ عاد أمير الرولة وشيخها العام إلى الجزيرة، وتحقق له ما أراد من إقامة حلف مع عرب العجم على رأسهم الأمير سعد البُخاريّ رئيس قبائل عرب الهند، سار مع أصحابه قاصداً برَّ الشام، إذْ أتته رسالة من أمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله بن سعود يطلب حضوره إلى عاصمة إمارته الدِّرعيّة، فتشاور القوم فيما بينهم وتمَّ قرارهم على تلبيةِ دعوة الإمام ابن سعود، وعلى إرسال وفد يضم الأمير الدريعي بن مَشهور وبعض ذوي قرابته والصايغ وعدداً من العبيد. أما لاسكاريس فإنه رأى من الأنسب أن يبقى مع سائر أفراد القبيلة.

وبعد وصولهم إلى الدِّرعيّة كان أمير الدِّرعيّة في انتظار زيارته، وبعد التشاور بينهما تمَّ الصُّلح والتحالف بين الطرفين، على أنْ يكون أمير الرولة الدريعي سُلطان الشّمال، وأمير الدِّرعيّة الإمام عبد الله سُلطان القِبلة، ويكونا روحين في جسد واحد، وتحالفا على السيف والمصحف، وتعهد الإمام ابن سعود أنْ يَمُدَّ أمير الرولة بالمال والرجال لاستملاك عربستان إنْ طُلِبَ منه ذلك، وتمَّ قراءة الفاتحة على ذلك.

وفي اليوم التالي استأذن الأمير الدريعي بن مَشهور أمير الدِّرعيّة الأمير عبد الله ابن سعود - رحمه الله - بالرحيل فقال له: يا ابن شعلان كأنك قد مَلَلْتَ منا سريعاً؟ قال: أستغفر الله لا يمل أحد من رؤيتكم، لكن لا بُدّ من رجوع الغريب إلى وطنه. فقال له: حاشا، أنت لم تبق غريباً فنحن وأنت بالحال واحد. فإن كان مرادك ذلك فليكن كما تريد.

(1) أشرنا سابقاً إلى هذا التحالف تحت المبحث الثاني: وقائع الأمير الدريعي بن مشهور مع السعوديين.

وقبل سفر أمير الرولة جاءت الهدايا من الإمام عبد الله ابن سعود وهي: سبعة رؤوس خيل غالية الثمن، وسبعة هجن، وسيفاً للدريعي ثوبه جِلد أسود لأنهم يُحَرِّمُوْنَ اقتناء السلاح من الذهبِ والفضةِ، ومائة ريال افرنجي، وَوَدَّعَ الدريعي حليفه ابن سعود وعاد إلى حوران المكان الذي اتفق مع عربه ليجتمعا فيه[1].

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 270، 271.

المبحث الثاني:

تحالف أمير الدولة

الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان مع نابليون [1] بونابرت

---

(1) نابليون بونابرت الأول: Napoléon Bonaparte (15 أغسطس 1769م- 5 مايو 1821م): قائد عسكري وحاكم فرنسا وملك إيطاليا وإمبراطور الفرنسيين، عاش خلال أواخر القرن الثامن عشر وحتى أوائل عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر. حكم فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر بصفته قُنصلاً عاماً، ثمَّ بصفته إمبراطوراً في العقد الأول من القرن التاسع عشر، حيث كان لأعماله وتنظيماته تأثير كبير على السياسة الأوروبية.

وُلد نابليون في جزيرة كورسيكا لأبوين ينتميان لطبقة أرستقراطية تعود بجذورها إلى إحدى عائلات إيطاليا القديمة النبيلة. ألحقه والده "كارلو بونابرت"، المعروف عند الفرنسيين باسم "شارل بونابرت" بمدرسةِ بريان العسكرية.

ثم التحق بعد ذلك بمدرسةِ سان سير العسكرية الشهيرة، وفي المدرستين أظهر تفوقاً باهراً على رفاقه، ليس فقط في العلوم العسكرية وإنما أيضاً في الآداب والتاريخ والجغرافيا. وخلال دراسته اطلع على روائع كُتّاب القرن الثامن عشر في فرنسا، حيث كانوا من أصحاب ودعاة المبادئ الحرة. فقد عرف عن كثب مؤلفات فولتير ومونتسكيو وروسو، الذي كان أكثرهم أثراً في تفكير الضابط الشاب.

أنهى دروسه الحربية وتخرّج في سنة: 1785م وعُيِّن برتبة مُلازم أول في سلاح المدفعية التابع للجيش الفرنسي الملكي. وفي سنة: 1795 أُعْطِيَ له فرصة الظهور، ليظهر براعته لأول مرة في باريس نفسها، حين ساهم في تعضيد حكومة الإدارة، وفي القضاء على المظاهرات التي قام بها الملكيون، تساعدهم العناصر المحافظة والرجعية. ثمَّ عاد في سنة : 1797ودعم هذه الحكومة ضد توجه أن تكون فرنسا ملكية دستورية، فبات منذ هذا التاريخ السند الفعلي لها وللدستور سنة: 1795. بزغ نجم بونابرت خلال عهد الجمهورية الفرنسية الأولى، عندما عهدت إليه حكومة الإدارة بقيادة حملتين عسكريتين موجهتين ضد ائتلاف الدول المنقضة على فرنسا. وفي سنة: 1799، قام بعزل حكومة الإدارة وأنشأ بدلاً منها حكومة مؤلفة من 3 قناصل، وتقلّد هو بنفسه منصب القُنصل الأول؛ ثمَّ سعى في إعلان نفسه إمبراطوراً، وتمَّ له هذا بعد 5 سنوات بإعلان من مجلس الشيوخ الفرنسي.

خاضت الإمبراطورية الفرنسية نزاعات عدّة خلال العقد الأول من القرن التاسع عشر، عُرفت باسم الحروب النابليونية، ودخلت فيها جميع القوى العظمى في أوروبا. أحرزت فرنسا انتصارات باهرة في ذلك العهد، على جميع الدول التي قاتلتها، وجعلت لنفسها مركزًا رئيسياً في أوروبا القارية، ومدّت أصابعها في شؤون جميع الدول الأوروبية تقريباً، حيث قام بونابرت بتوسيع نطاق التدخل الفرنسي في المسائل السياسية الأوروبية عن طريق خلق تحالفات مع بعض الدول، وتنصيب بعض أقاربه وأصدقائه على عروش الدول الأخرى.

شكّل الغزو الفرنسي لروسيا سنة: 1812م نقطة تحول في حظوظ بونابرت، حيث أصيب الجيش الفرنسي خلال الحملة بأضرار وخسائر بشرية ومادية جسيمة، لم تُمَكِّن نابليون من النهوض به مرة أخرى بعد ذلك. وفي سنة: 1813م، هزمت قوّات الائتلاف السادس الجيش الفرنسي في معركة الأمم؛ وفي السنة اللاحقة اجتاحت هذه القوّات فرنسا ودخلت العاصمة باريس، وأجبرت نابليون على التنازل عن العرش، ونفوه إلى جزيرة ألبا. هرب بونابرت من منفاه بعد أقل من سنة، وعاد ليتربع على عرش فرنسا، وحاول مُقاومة الحلفاء واستعادة مجده السابق، لكنهم

أما تحالف أمير الرولة مع القائد الفرنسي نابليون بونابرت فكان من خلال تحالفه مع مبعوثِ نابليون وهو تيودور لاسكاريس، الذي أرسله لِمُهمةِ توحيد قبائل الجزيرة العربيّة ضد العثمانيين، وأنَّ الهدف السّياسي هو توحيد صفوف البدو ليكونوا عوناً لجيش كبير (حملة فرنسية بقيادة نابليون بونابرت) سَيَمُرُّ بالشرق ليحتل بلاد الشام والعراق ويقطع الصحراء قاصداً الهند لقطع الطريق أمام إنكلترا [(1)]، وأنَّ أمير الرولة هو الشيخ القوي الذي يُمكن الاعتماد عليه لتحقيق هذه المآرب.

وتمكنت الصحبة بين لاسكاريس وأمير الرولة، الواحد يدبر الأمور، والآخر يعمل على اتحاد القبائل.

وأما الصايغ – أو عبد الله الخطيب - فكان يكتب الرسائل ويَكْسَبَ القلوب بطيبِ لسانهِ، وتمكن بدهائه من ربطِ كبارِ الشيوخِ برباطٍ عظيم، على أنْ يكونوا يداً واحدة مع أمير الرولة في كل الأمور، وعوناً له في خلافه مع العثمانيين وأمير الدِّرعيّة. وتمَّ التوقيع على وثيقة الاتحاد في الثاني عشر من شهر تشرين الثاني سنة:

هزموه شر هزيمة في معركة واترلو خلال شهر يونيو من عام: 1815م. استسلم بونابرت بعد ذلك للبريطانيين، الذين نفوه إلى جزيرة القديسة هيلانة، المُستعمرة البريطانية، حيث أمضى السنوات الست الأخيرة من حياته. أظهر تشريح جثة نابليون أنَّ وفاته جاءت كنتيجة لإصابته بسرطان المعدة، على الرغم من أنَّ كثيراً من العلماء يقولون بأنَّ الوفاة جاءت بسبب التسمم بالزرنيخ.

تُدرّس حملات نابليون العسكرية في العديد من المدارس الحربية حول العالم، وعلى الرغم من أن الآراء منقسمة حوله، حيث يراه معارضوه طاغية جباراً أعاد الحكومة لامبراطورية، وَوَزَّعَ المناصب والألقاب على أسرته، ودخل مغامرات عسكرية دمرت الجيش، فإن محبيه يرونه رجل دولة وراعياً للحضارة، إذ يُنسب إليه القانون المدني الفرنسي، المعروف باسم قانون نابليون، الذي وضع الأسس الإدارية والقضائية لمعظم دول أوروبا الغربية، والدول التي خضعت للاستعمار والانتداب الفرنسي في العصور اللاحقة. نابليون بونابرت، د. أيمن أبو الروس، ص: 11 وما بعدها.

(1) يقول فتح الله الصايغ في مذكراته التي جُمعت في كتاب " لاسكاريس العرب" للمؤلف جان سوبلان، ص: 123 : " قال لي لاسكاريس: اصغ إليَّ جيداً يا بني، لا يأتي نابليون لأمر بسيط إنه يريد تحرير سوريا من نير الأتراك، سيُطرد العثمانيون بسرعة من حلب، وستعيش فيها بسلام أنت وذووك، لقد اختارونا أنا وأنت للإعداد لمثل هذا العمل الكبير... وتابع السيد لاسكاريس همسه إليَّ بمشاريع نابليون، فنحن، لكي نتغلب على الأتراك، بحاجة إلى البدو الذين يسيطرون على الآبار بين دمشق وبغداد، وعلينا أنا وأنت أن نحقق هذا المشروع، يجب علينا نحن الاثنين أنْ نذهب للتبشير لدى البُداة بقوة فرنسا، وبالتحالف مع نابليون، ليس أكثر من ذلك".

1811م /1226هـ. وكان مجموع القبائل خمساً وأربعين قبيلة تُعد نحو ألف ألف نفس[1].

يقول لاسكاريس تحت عنوان: مُذكرات (مايس 1811م) بعد أنْ وصل إلى مخيم أمير الرولة: " وأخذتُ أُلاحظ ابن الشّعلان، الرجل القصير القاسي، الأسمر اللون الذي كان طموحه يهز سوريا... فلقد وصلت هذا المخيم تسبقني سُمعة القائد الاستراتيجي، وهم يعتمدون على معرفتي بالمواقعِ التركيةِ، وعلى صِلاتي بقبائلِ العرب التي لم تتعامل (الرولة) معها مُنْذُ أمد بعيد...

وأصبح من مُهمتي أنْ أذهب إلى أبعد من ذلك، أنْ أكسب لدى الأمير التأثير الذي يلزمني، ليس لديَّ إلا حليف واحد: نابليون، ولا بُدَّ أنْ بعض أخبار حروبه في أوربا قد بلغت هذه الزاوية من الصحراء، وهي مُستندي الوحيد. إنَّ الخُيَلَاْءَ الذي يملأ نفسه لأنه قد كسب مبعوث الإمبراطورية، وأمله في الاعتماد يوماً ما على مُساعدته لطرد الترك من سوريا يُمكن أنْ يؤكدا لي التفوق في المجلس، إذا ما استطعت الإفادة منهما.

وكان يلزمني مع الأمراء التابعين، والأقارب، وزبائن الأمير، الحذر والقليل من الغرور والزهو حتى أُمكِّن لمكانتي لدى هذا السيد الكبير. ولقد أفْهَمَهم فتح الله أنَّ مرور الجيش الإمبراطوري سيرفع من أثمان الجِمال، وسيخلق فُرصاً مُمتازة للكسبِ، وسيتأثر الجنود المُشاة، أخيراً، بشيء من السحرِ.

فسنرى فيما إذا كنتُ أستطيع أنْ أصنع لهم مُنطاداً، كما فعل (كونتيه) الشُّجاع في القاهرة، أو إذا كانت كيمياء السيد (بيرينيه) ستكفي "[2].

ويقول في مكان آخر من مذكراته : " قاد ابن الشّعلان بنشاط المفاوضات مع رزق أمير الضفير، إنَّ الدريعي أمير قبيلة الرولة المُتحالف مع إمبراطور الفرنجة،

(1) انظر: رحلة فتح الله الصايغ الحلبي، ص: 9 – 10.

(2) لاسكاريس العرب، ص: 154- 157.

صديقه، قد قرر دعوة المُحترمين من قبيلة الضفير، إلى المُشاركة في مجدِ العمليات التي يُواجهها، ثمَّ فيما يحصلون عليه من غنائم.

نحن نعلم أنَّ قبيلة الرولة بقيادة أميرها الدريعي قد هزموا التُّرْك قريباً من بغداد، وسيلي ذلك معارك أخرى. ومن المُناسب أيضاً الحذر من السعوديين، إذا لم نحترس منهم فإنهم سيأتون يوماً لفرض ضريبة على قُطعان قبيلة الضفير. في انتظار وصول نابليون بونابرت القريب، الذي سيدفع كثيراً لقاء الجِمال والمرور الذي هو بحاجة إليه، ومن المُناسب إطفاء نار المُنازعات القديمة، والاتحاد ضدَّ الترك.... فمع الفرنسيين يُمكن احتلال الموصل، وربما بغداد، أهناك ما يمنعنا من ذلك؟ " [1].

○ **سيديو يتحدث عن تحالف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان مع نابليون بونابرت:**

وهذا نص من كتاب " خلاصة تاريخ العرب " لسيديو يتحدث فيه عن تحالف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان مع نابليون بونابرت.

وسيديو عالم ومستشرق فرنسي جمع في عشرين سنة سِفْراً تكلم فيه عن العربِ وعن الإسلام، فنقل الحقائق العلمية كما هي دون تزييف أو تحريف كما فعل غيره من كُتَّاب الإفرنج حين شَوَّهُوا التاريخ العربيّ والدِّين الإسلامي.

ولذلك أمر علي باشا مُبارك[2] بترجمةِ كتابهِ وبيَّنَ السبب فقال : " وقد كتب السلف من رجال الأمة العربيّة كُتباً كثيرة في المسائل الاعتقادية والعملية وتواريخ أسهبوا فيها الكلام على الحوادث التاريخية وما لأهلها من العوائد والأخلاق، ولم

---

(1) المرجع السابق، ص: 176، 177.

(2) علي باشا مُبارك (1239 - 1311 هـ = 1824 - 1893 م): علي بن مبارك بن سليمان الروجي: وزير مصري، من المؤرخين العلماء العصاميين النوابغ. وُلد في قرية برنبال (من الدقهلية بمصر) وتلقن العربية وحذق بعض الفنون، وسافر سنة: 1260 هـ مع بعثة مصرية إلى باريس، فتعلم فني الاستحكام والمفرقعات والحركات الحربية. وعاد إلى مصر، فتقلب في الوظائف العسكرية، وبلغ رتبة أمير ألاي، وحضر الحرب التركية الروسية سنة: 1270 هـ، ثم نُصِّبَ ناظراً للأوقاف المصرية وأضيفت إليه المعارف، فأنشأ مدارس كثيرة، وأبقى آثاراً، منها دار الكتب المصرية في القاهرة. الأعلام، الزركلي، ج 4، ص: 322.

يَقْتَدِ بهم الخَلف في ذلك، مع أنهم جديرون بنشرِ فضائلِ العربِ والشريعةِ الغراءِ، لتمام درايتهم باللغة العربيّة، بل سكنوا فأُسندَ الأمر إلى غير أهله وهم: الفرنج الذين لهم معرفتهم بأساليبِ اللغةِ العربيّةِ، فأضاعوا فضائل العرب، وأخذوا يركبون مَتن العمياء، ويُخَبِطون خبط عشواء، فكم من حكمةٍ حولوها عن حقيقتها، وكم من آيةٍ ترجموها على غير المقصود منها، فشاعت الأباطيل المُضرة بشباننا في دينهم ودنياهم، ولم أجد من المؤرخين منْ تصدى لتبديد هذه المفتريات سوى العالم سيديو (sedillot) أحد مشاهير عُلماء الفرنج المولود بباريس في 23 يونيو سنة: 1223 هجرية، فقد جمع في عشرين سنة تاريخاً في سفر من مؤلفات من يثق بهم من العرب والفرنج، وبث فيه الفضيلة المُحمدية والمآثر العربيّة، وأثبت ذلك ببراهين دحض بها ما ادعاه المُبغضون من نسبتها إليهم، فتحول الناس عما رسخ في أذهانهم، وأخذوا يُقدِّرون الكتب العربيّة وعُلماء العرب حق قدرهم، وظهر فضل العرب لدى الفرنج، وأنشؤوا في ممالكهم مدراس لتعلُّم اللغة العربيّة، وأخذوا يُسارعون إلى حيازة الكُتب العربيّة في سائر الفنون والمعارف ويبذلون فيها النفيس... " [(1)].

يتحدث سيديو عن الحقبةِ التي عاش فيها شيخ الرولة والحوادث التي حدثت في عهدِ إمارته، ويصف سيديو الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان بأنه مَعروف بالفِطْنَةِ والدراية في الحرب، وبأنه رئيس الحزب الذي ضم القبائل التي كانت مُعادية للدولة العُثمانية، كما يتحدث عن لقاء لاسكاريس به وسبب ذلك، وهذا يؤكد ما ذكره فتح الله الصايغ في كتابه " رحلة فتح الله الصايغ ".

يقول سيديو تحت عنوان: المبحث السابع: في أنَّ غزو الفرنساوية للديار المصرية ساعد السعوديين على نجاحِ مَقصدهم : " أخذ نابليون بونابرت البلاد الشامية التي نجت منه بمقاومة أهل عكا، وحارب الديار المصرية، فاشتغلت الدولة في غايةِ القرن الثامن عشر وغُرَّة التاسع عشر من الميلاد بتمكين حكمها في إِيَاْلَةِ[(2)] مصر والشام،

---

(1) مُقدمة خلاصة تاريخ العرب، سيديو، ص: 3، 4.

(2) مُصطلح عثماني يُقصد به الولاية.

وبمُقاتلة الجبابرة في أوروبا، غير مُلتفتة إلى ما جرى على بلادِ العربِ من تحكم الوهابية التي أنشأ بونابرتو مع كبيرها مودة.

ولما فتح بونابرت الديار المصرية كتب في تاريخه مقاصده، ومنها توصله إلى الهند ليعدم منها ما للإنكليز من الشوكة التامة، ولما وَلِيَ إمبراطورية فرنسا أمر الموسيو (لاسكاريس) [1] بالسفر إلى بلاد العرب ليعاهد قبائل الشام والعراق وفارس على أنْ يُسَهِّلوا سير جيشه إلى السند، ويفتحوا له الطريق التي سلكها إسكندر ذو القرنين، فسافر (لاسكاريس) من حلب ومعه كاتب السِّرِّ[2]، وقطع فيافي بلاد العرب من جهةِ تدمر القديمة، فأخبرته أول قبيلة نزل عندها بأنَّ أهل البادية أربعة أحزاب: حزب من أحياء عنزة في حدود الشام مُنقاد للدولة، وحزب من شجعان العرب في مفاوز (صحاري) العراق شديد البغضاء لمن انتسب إلى غيرهم، وحزب من بدو الفرس، وحزب من بدو الفرس، وحزب من جيش الإمام أمير الدِّرعيّة- التي أعرض عنها (لاسكاريس) واتجه إلى الحزب الثاني من العرب، والذي عاهدهم على مُقاومة الدولة[3]، فكان رئيس هذا الحزب (الدريعي بن مَشهور أمير قبيلة الرولة) المعروف بالفطنة والدراية في الحرب محل أسرار بنابرتو في مغاور بلاد العرب.

ثمَّ كتبَ جمع من مشايخِ العربِ سنة: 1811 ميلادية مُبايعة مع (الدريعي) - أمير الرولة - على أنْ ينقادوا لأمره، ويُعادوا العُثمانية عداوة مؤبدة، ويحاربوا جيش إمام الدرعية، ولا يخلطون الدِّين بالسياسة، ويقاتلوا القبائل المُمتنعة من الانضمامِ إليهم، ويَقتلون من نَقَضَ منهم هذه المُبايعة.

وبلغَ ذلك الانكليز فألفوا قلوب عرب الشام بالعُثمانيةِ، وأغروا السعوديين البالغين إذ ذاك سبعة آلاف وستمائة خيمة على أن يفسخوا معاهدتهم مع

---

(1) وردت في الكتاب (لسقاريس) والصحيح ما أثبتناه.

(2) وهذا الكاتب هو فتح الله الصايغ الذي تسمى بـ (عبد الله الخطيب) بأمر أستاذه لاسكاريس والذي تسمى بـ: (الشيخ إبراهيم). انظر: القصة كاملة كما أثبتها الصايغ في كتابه " رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربية".

(3) يقصد هنا الدولة العليا العُثمانية كما ذكر فتح الله الصايغ في رحلته.

الفرنساوية، ورتَّبوا لهم دراهم لذلك، ثمَّ كانت واقعة بقرب حماه بين مائة ألف سعودي وثمانين ألف بدوي تابعين للدريعي الذي هزم جيشهم، واختفى أثرهم حتى بلغ حدود نجد، فأراد سعود وهو بالدِّرعيّة تحت حكومته أنْ يعرف الغرض من المُعاهدة مع الفرنساوية، فذهب إليه (لاسكاريس) (والدريعي) [1] وأوضحا له الغرض منها، فدخل في تلك المُعاهدة لشدةِ بغضائه كالفرنساوية لجنس الترك، إلا أنَّ سعوداً ما زال يأبى الانقياد في قضايا أخرى بسبب مُعاهدته مع الانكليز حتى عرف أنَّ نابليون هو أبو النار، وأنه الذي سأله المُساعدة على ذهابه إلى الهندِ بجيوشهِ لإعدام شوكة الانكليز فأجابه بغاية الرضا، ثمَّ رجع (لاسكاريس) من بلاد العرب سنة: 1800هجرية[2] وقت هرب الجيش الفرنساوي من مدينة مسقوف عائداً إلى وطنه، ورأى (لاسكاريس) أنَّ أوراق مُعاهدته في أيدي أعدائه[3]، وأنَّ سعيه ذهب هباءً منثوراً، فمات حُزناً بعد استيلاء الانكليز على جزيرة كرك في الخليج الفارسي، ووجود وكلائهم في مخا والسويس وجدة والبحرين، وتشوقهم إلى الاستيلاء على مدينتي مكات[4]وعدن... " [5].

(1) ذكر فتح الله الصايغ أن لاسكاريس لم يذهب مع الدريعي، بل أرسل محله تلميذه عبد الله الخطيب (فتح الله الصايغ). رحلة فتح الله الصايغ، ص: 247، 248.

(2) الصحيح: 1813 ميلادية. انظر: رحلة فتح الله الصايغ، ص: 287.

(3) يقصد الإنكليز أعداء فرنسا آنذاك. انظر: رحلة فتح الله الصايغ، ص: 12.

(4) لعله يقصد مكة.

(5) خلاصة تاريخ العرب، سيديو، ص: 282، 283 أمر بترجمته علي باشا مبارك، ط1، مطبعة محمد أفندي مصطفى، حوش قدم، 1309هـ.

المبحث الثالث:

تحالف أمير الرولة
الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان
مع أمير العجم سعد البُخاري رئيس قبائل الهند [1]

وكان هذا التحالف حين قطع أمير الرولة ومن معه دجلة ودخلوا أرض العجم، وقَصْدُهُمْ لقاء الأمير سعد البُخاريّ رئيس قبائل عرب الهند كي يتحالفوا معه كما تحالفوا مع باقي العُربان، وبعد سفر طويل دام أياماً قطعوا فيها مراحل كثيرة، حتى قطعوا بلاد الكرمان ووصلوا إلى نهر خراسان، يقول الصايغ في رحلته : " ولمْ نزل نرحل وننزل ونواجه أثناء سيرنا قبائل عرب والتي تُقيم دائماً في طبراق (تراب) عجم أستان، وتحت تدبير الأمير سعد وأوامره، في نواحي سواحل البحر حيث يكون السهل.

ونحن كان مسيرنا بالقرب من ساحل بحر الهند...فمن بعد مسيرنا في طبراق العجم اثنتين وأربعين مرحلة كبيرة، نزلنا بأرضٍ يُقال لها: الهِنْدُوان، ثمَّ جَدَّيْنَا بالسير وكل يوم مرحلة، البعض منها فيها مياه، والبعض منها خالية من المياه...وحين بقي لنا ثلاث مراحل أرسلنا مع هجان من عرب ديرتهم بمكتوب للأمير سعد من طرف الدريعي للسؤال عن خاطره والسلام عليه....

ثمَّ رحلنا أول يوم وثاني يوم، وفي الثالث، وهو اليوم الذي سنصل فيه عنده في منتصف النهار، إذ بالغبار معقود من صدر البرية كأنه غَمامة مُمطرة.. وإذا به الأمير سعد جاء للقائنا...وحالاً استعد الأمير الدريعي وأولاده وكثير من قبائلنا والشيخ إبراهيم[2]وأنا للقائهم، وكذلك سعد وكبار قبائله ركضوا لمُلاقاتنا واجتمعنا مع

---

(1) ذكرنا ذلك سابقاً نقلاً عن رحلة فتح الله الصايغ تحت عنوان: مع عرب العجم والهند.

(2) تقدم أنه لاسكاريس العرب الذي تسمى بالشيخ إبراهيم.

بعضنا بين الصفين، وسلمنا على بعضنا...ودُعِيْنَا عند الأمير سعد نحن وكامل من معنا من أمراء ومشايخ وكبار القبائل مُدة ثلاثة أيام على سفرة الأمير سعد....

ثم كُلَّ يوم كنا نعمل معه خلوة ونتكلم، حتى فهم المادة جيداً، ودخل في عقله مطلوبنا، فوافق على ذلك وسُرَّ جداً إذْ قال: على ما أعلم أنَّ جميع أهالي بلاد الهند غير راضين على حُكامهم اليوم، ويتمنون أنْ تحدث أمور مثل هذه لأنهم مَظلومون.

وأما أنتم فلا تفكروا بشيء فإني أُقدِّم للجيش جميع ما يلزم، وإذا اقتضى الأمر فإني أُرسل من عندي أُنَاساً وجمالاً وذخائر لمُلاقات الجيش. فأنا معكم على كل ما تريدونه من العمل. ثمَّ قرأنا ورقة الشروط، فَسُرَّ منها جداً. لكنه ما وضع اسمه ولا خَتْمَهُ بها، بل عمل لنا ورقة ثانية خاصة به لنا، ووضع اسمه وختمه بها وكانت بهذه الألفاظ :

بسم الله الرحمن الرحيم، أقول أنا سعد بن بدر بن عبد الله بن بركات بن علي البُخاريّ رضي الله عنه، هو أني قد رهنت لساني بقول ثابت لدى حافظين هذه الورقة، بأنْ أكون مُوافقاً لهم ومُتحداً معهم، وقابلاً لشروطهم المرقومة في ورقةٍ عمومية غير هذه، وأكون مُساعداً ومُعيناً لهم في جميع ما يريدونه ويبغونه، وأكون حافظاً لسِرِّهِمْ، وعدواً لعدوهم، وصاحباً لصاحبهم. وقد أعطيت هذه الورقة حتى يكونوا مُطمأنين من طرفي، ومُتأكدين من كلامي، والسلام على سيدنا ومولانا الأعظم فَحْلِ الرجالِ الإمام الغالب علي بن أبي طالب رضي الله عنه والسلام، ثمَّ وضع توقيعه وختمه ودفعها لنا " [1].

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 237- 239.



أمير الرولة
الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان
في كُتب المُستشرقين

- **المبحث الأول:**

لاسكاريس العرب أو تيودور لاسكارس يلتقي أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان ويصف هيبته وطموحه.

- **المبحث الثاني:**

المُستشرق الفرنسي سيديو يتحدث عن أمير الرولة وشيخها العام الدريعي بن مَشهور الشّعلان.

المبحث الأول:

لاسكاريس العرب (1181هـ- 1232هـ /1767م -1817م) [1]
أو تيودور لاسكارس يلتقي أمير الرولة الدريعي بن مشهور الشعلان ويصف هَيبَتَهُ وطموحه

كثير من المُستشرقين قاموا برحلات إلى الجزيرةِ العربيّةِ إما للاستكشاف أو للتعرُّف على حياة البدو وعاداتهم، والبعض منهم كانت رحلته في حِقبة إمارة الدريعي بن مَشهور على قبيلة الرولة، فالتقى به بعض المُستشرقين ودوَّنوا في كتبهم صفات الدريعي وأخلاقه كما عاينوها بأنفسهم، وأجمع كل من لقيه على أنه شخص مُتميز بأخلاقه ورحابة صدره، وأنه يملك قدرات وهبها الله له مكنته من قيادة وتدبير شؤون قبيلته لأعوام كثيرة.

ويُمكن القول: إنَّ قبيلة الرولة نالت حصة الأسد من حيث تسابق المُستشرقين لتعرُّف على أحوالها وتاريخ رجالاتها من أمراء وشيوخ وفرسان وشعراء ومعارف عامة. ومن أهم المُستشرقين الذي عاصروا الرولة مدة تزيد على عشرين سنة هو لويس

---

(1) تيودور لاسكاريس ولد عام 1767م: من أمهر جواسيس فرنسا (إلا أنه لم يجنِ النجاح والشُّهرة بسبب إخفاقات نابليون العسكرية). أُرسل في بداية القرن التاسع عشر لسبر أغوار البدو، ومعرفة طرق المواصلات، وأماكن تواجد الآبار في بادية الشام، والتواصل مع الإمام ابن سعود إمام الدرعية في نجد، حيث تمَّ تجنيده من قبل القُنصل الفرنسي في الإسكندرية دروفيتي عندما أُرسل لبلاد الشام وشبه جزيرة العرب في حينه، والذي كان بمنزلة العين الراصدة للفرنسيين، ولاسكاريس هذا هو من رعايا دوقية ساردينيا، وُلد في مدينة نيس 1767م، وهو يحمل لقب فارس من فرسان مالطا، وقد زار الدرعية في عام 1811م مع خادمه الحلبي الماروني فتح الله الصايغ. صنائع الانكليز، سعود بن عبد الرحمن السبعاني، ج1"ص: 402. مكتبة شمس للنشر والإعلام.

ويقول جان سوبلان صاحب كتاب " لاسكاريس العرب"، ص: 423 : " مات لاسكاريس في القاهرة في آذار من عام 1817م". دار طلاس، دمشق، ط1، 1987م.

موزيل المُلقب بالشيخ موسى الرويلي وألَّفَ كتابه: " أخلاق الروله و عاداتهم " (The Manners and Customs of the Rwala Bedouins)

وقال عن الأمير الدريعي : " وكان قائد الرولة في أوائل القرن التاسع الدريعي بن مشهور الشعلان "

ويُعتبر لاسكاريس من أوئل المُستشرقين الذين تحدثوا عن أمير الرولة.

التقى لاسكاريس – الذي تَسمى بالشيخ إبراهيم- جاسوس نابليون بشيخ الرولة الدريعي سنة: 1811م ضمن خطته التي رسمها لتوحيدِ قبائلِ الجزيرةِ العربيّةِ ضد العثمانيين، وأنَّ الهدف السياسي هو توحيد صفوف البدو ليكونوا عوناً لجيشٍ كبيرٍ (حملة فرنسية بقيادة نابليون بونابرت) سوف يمر بالشرق ليحتل بلاد الشام والعراق ويقطع الصحراء قاصداً الهند لقطعِ الطريقِ أمام انكلترا، وأنَّ الدريعي ابن شعلان هو الشيخ القوي الذي يُمكن الاعتماد عليه لتحقيق هذه المآرب.

وتَمَكَّنت الصُّحبة بين لاسكاريس وأمير الرولة، الواحد يُدبر الأمور، والآخر يعمل على اتحادِ القبائلِ. وأمّا الصايغ أو عبد الله الخطيب فكان يكتب الرسائل ويكسب القلوب بطيبِ لسانهِ، وتمكنَ بدهائهِ من ربطِ كبارِ الشيوخ برباطٍ عظيمٍ، على أنْ يكونوا يداً واحدة مع أمير الرولة في كلِّ الأمورِ، وعوناً له في خلافه مع العثمانيين وغيرهم. وتمَّ التوقيع على وثيقةِ الاتحادِ في الثاني عشر من شهر تشرين الثاني سنة: 1811م /1226هـ. وكان مجموع القبائل خمساً وأربعين قبيلة تُعد نحو ألف ألف نفس[(1)].

يصف لاسكاريس في مُذكراته تحت عنوان: مُذكرات (مايس 1811م) وصوله إلى خيمة أمير الرولة وبعد وصفه أسلوب إعداد البدو للقهوة قال : " وأخذت ألاحظ ابن شّعلان، الرجل القصير القاسي، الأسمر اللون الذي كان طموحه يهز سوريا، كان في حوالي الأربعين أو الخامسة والأربعين من العمر.

(1) انظر: رحلة فتح الله الصايغ الحلبي، ت: د. يوسف شلحد، ص: 9 – 10. لاسكاريس العرب، جان سوبلان. ذكر فيه لاسكاريس في كثير من مذكراته كيف تمَّ التخطيط لاتحاد القبائل حتى تحقق أخيراً.

أما إخوته الأصغر سِنَّاً فلا يزالون في سنِّ الشبابِ، وتنفرج شفتاه التي تعلوان دقناً (1) قصيرة عن أسنانٍ بيضٍ تامةٍ، ربما يرتجف منها من ينظرُ في عينيهِ، ولقد نُقِلت إليَّ حول هذا الرجل الصلف والقاسي والعنيد طُرَف ونوادر حول المصير الذي يَدخره أحياناً للأسرى الأتراك، فأيُّ كرهٍ يدفعه إلى ذلك إذاً؟.

وتساءلتُ أيضاً حول يديه الناعمتين بالنسبة لرجلٍ يَستعمل السيف والرمح، يديه اللتين خُلقتا لمُداعبة الأطفال أكثر ممّا تكونان قد خُلقتا لقطعِ الأعناقِ... ومع ذلك فإنني أشعر بالغريزة أنَّ هذا التعارض بين النعومة والقوة، بين الليونة والقسوة، يُمكن أنْ يَخدم مُخَطَّطِي، فما دام على رئيس (الرولة) (2) أن يكون نقطة استناد لمُهمتي، ومحور الوحدة التي أحبكها في الظلام، فإنَّه يلذُّ لي أنْ لا يكون هذا الرجل بسيطاً، أنا بحاجةٍ إلى ذكائهِ، كما أنني بحاجةٍ إلى قسوتهِ.

ولكنه هو نفسه، أيكون بحاجة إليَّ؟ وكيف أستطيع أنْ أفرض نفسي على هذا الزعيم الذي يطير من نصرٍ إلى نصرٍ؟ إنَّ ترحيبه اللطيف، ودعوته إياي للمُشاركة في مجلسهِ مُنْذُ وصولي يُبيِّنَانِ أنَّ فتح الله(3) قد أتمَّ بشكلٍ جيدٍ عمله نذيراً بالحرب... " (4).

---

(1) الصحيح: ذَقناً (بفتح القاف).

(2) يقصد الأمير الدريعي بن مشهور الشعلان.

(3) هو فتح الله الصايغ الذي كان رفيقاً ومترجماً للاسكاريس في رحلته إلى قبيلة الرولة والتي دونها في كتابه "رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربية".

(4) لاسكاريس العرب، ص: 154- 156.

المبحث الثاني:

المُستشرق الفرنسي سيديو (1223 - 1292 هـ /1808 - 1875 م) (1)

يتحدث عن أمير الرولة وشيخها العام الدريعي بن مَشهور الشّعلان:

ذكرنا سابقاً (2) أنَّ سيديو تحدث عن الحقبة التي عاش فيها أمير الرولة والحوادث التي حدثت في عهد إمارته، ويصفه سيديو بأنَّه معروف بالفطنةِ والدرايةِ في الحربِ وبأنَّه رئيس الحزب الذي ضم القبائل التي كانت مُعادية للدولةِ العُثمانيةِ، كما يتحدث عن لقاء لاسكاريس بالدريعي بن مَشهور وسبب ذلك.

يقول سيديو تحت عنوان: المبحث السابع: في أنَّ غزو الفرنساوية للديار المصرية ساعد السعوديين على نجاحِ مَقصدهم : " **واتجه لا سكاريس إلى الحزب الثاني من العرب، والذي عاهدهم على مقاومة الدولة (العثمانية)، فكان رئيس هذا الحزب (الدريعي بن مشهور) أمير قبيلة الرولة المعروف بالفطنة والدراية في الحرب محل أسرار بنابرتو في مغاور بلاد العرب**" (3).

---

(1) سيديو: (1223 - 1292 هـ = 1808 - 1875 م): لوي (لويس) بيير أوجين أميلى سيديو: Louis Pierre، Amelie Sedillot،Eugene مُستشرق فرنسي. مولده ووفاته بباريس. كان أبوه (جان جاك إمانويل من المستشرقين أيضاً. أخذ عنه صاحب الترجمة بعض اللغات الشرقية، وتخرّج في كلية هنري الرابع، وعُيِّن مدرساً للتاريخِ في كليةِ " بوربون " سنة: 1823م واشتغل بعلمِ الفلكِ، وعلت شهرته. وهو صاحب كتاب " Histoire des Arabes" ألفه بالفرنسية، وأشرف علي مبارك باشا على ترجمته إلى العربية، وسماه " خلاصة تاريخ العرب " ثمَّ ترجمه عادل زعيتر، كاملاً، وسماه " تاريخ العرب العام" ومن آثارِ " سيديو " العربية، نَشْرُهُ كتاب " جامع المبادئ والغايات في الآلاتِ الفلكيةِ " لأبي الحسن علي المراكشي، مع ترجمتهِ للفرنسية. الأعلام، الزركلي، ج5، ص 246.

(2) ذُكر ذلك سابقاً تحت عنوان: سيديو يتحدث عن تحالف أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان مع نابليون بونابرت.

(3) خلاصة تاريخ العرب، سيديو، ص:283.



صُورة أمير الرولة

الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان في الشعر البدوي

- **المبحث الأول:**

أمير الرولة الدريعي بن مَشهور وصيحة حصة وما قيل فيها من الشعر.

- **المبحث الثاني:**

أمير الرولة الدريعي بن مَشهور وبنيه الجربا.

- **المبحث الثالث :**

أمير الرولة الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان وما قيل من الشعر عن إمارته على الجوف.

المبحث الأول:

أمير الرولة

الدريعي بن مَشهور وصيحة حصة وما قيل فيها من الشعر

تغنى كثير من الشعراءِ بمدحِ قبيلة الرولة وما تمتاز به من مكانةٍ تاريخيةٍ عظيمةٍ، وخُصَّ أميرها الدريعي بن مَشهور الشّعلان بالمدحِ في كثيرٍ من القصائدِ.

وقد تناولت القصائد موضوعات عديدة منها شجاعة أمير الرولة في المعارك وانتصاراته الكبيرة، كما مدحوا أخلاقه الكريمة وسجاياه الرفيعة، ونذكر فيما يلي بعض ما قيل في شخص أمير الرولة من الشعر.

فقد صَوَّرَ الشاعر دلّي بن دبلان السبيعي العنزي معركة صيحة حصة المَشهورة، والتي انتصر فيها أمير الرولة ومعه شيخ مشايخ عنزة ابن هذال على قبيلة شمر، وثأر لصيحةِ حصة أخت زوجه سُكر، حين صاحت بعد إيذائها من أحد رجالات قبيلة شمر صيحتها المَشهورة : " الدريعي يا رجالي ".

وقد تَمكن أمير الرولة ومن معه من أخذِ الثأرِ.... حتى أصبح الأمير الدريعي مَضْرِبَ المثل في الشجاعةِ والإقدامِ وإغاثة المُستجير، فقال شاعر شمر بصري الوضيحي مُتحدياً ومُعرضاً ومتمنياً هذه الأبيات، وذكر فيها مجول والدريعي (1):

أَبَـا أَتَمَنّـــى كَانْ هِي بِـالتِّمَـاني   صَــفَرا صَـهـاة اللُّون قَبَّـا طِلِيْعِيْ

وسِــرْوَالْ تُوْمَان وِمثْل الشِّــطانِيْ   وِمْصــقَّـلٍ مِثْـل الثَّغَـب لَـه لِمْيِعِيْ

أبِي لِيَـا لَحْقَ الطَّلَـبْ لَـه غَوانِيْ   والْخَيْـلْ معْهَـا [مجْوِل] و [الـدرِيْعِيْ]

أَرُدَّهــا وِإنْ كَـانْ رِبّـي هَـدانِـي   منَ الْمعرقـه يـأتي على الخـدّ رِيْعِيْ

---

(1) أبطال من الصحراء، زيد بن محمد السديري، ص: 199.

أَرِدَّهَـا لِعْـيُونْ صـــافِيْ الـثَّـمـانِي   بِيضَ النُّحُوْرِ مِهْلِكـات الرّضِــيعي
قدام شـــمر مثل زمل الصــخاني   الـلي يـخـلـون المخـالـف يـطـيـعي

مُناسبة القصيدة:

قُدِّر للشاعرِ الوضيحي أنْ يغزو مع بنيه الجربا شيخ قبيلة شمر على قبيلة الرولة من عنزة، وقد أغار الجربا هو وفرسانه على إبلِ الرولة وأخذوها، فلحقهم الأمير الدريعي بن مَشهور وابن عمه ومجول، كما تمنى الشاعر الوضيحي ومعهم فُرسان الروله ليُخَلِّصُوا الإبل من فرسان شمر، فسرعان ما فَكُّوا إبلهم وراحوا يُطاردون فرسان شمر.

وقد حَمِيَ الوطيس بينهم، وفي غمرةِ ذلك ضرب أمير الرولة فارساً من فرسان شمر بالسيف فطار رأسه من على منكبيهِ، وعندما رأى الشاعر الوضيحي ذلك دُهِشَ من هولِ الضّربة فولَّى هارباً من أرضِ المعركةِ، وترك قومه، وقد دافع أبطال شمر عن أنفسهم دفاعاً بُطولياً كعادتهم، وتخلصوا بأعجوبة من فُرسانِ الرولة، وعندما وصل بنيه الجربا مضارب عشيرته، كان غاضباً على الوضيحي بسبب فراره من المعركه، فدعاه ليُحقق معه ويؤنبه على فراره، وعندما سأله أجاب الشاعر الوضيحي بهذين البيتين:

أنَـا بـلايَـهْ لابِسِـــيْنَ الـقِـطَـاْنِي   اللِّي يِخْلُوْن المُخـالِف يِطِيْعِـــي
منْ فُوْقْ قـب مكْرِمـات ســمـانِي   يِشِــدْن شِــيَاْهِين تخطَّفْ مْرَيْعِـــي

وبعد أنْ سمع كلامه حكم عليه أنْ يغسل جواده بالصابون ثلاث مرات بين فرسان شمر، لأنه لايستحق ركوبها، وكانت هذه الفرس من الخيل الخاصة للشيخ بنيه الجربا (1).

(1) المرجع السابق، ص: 200، 201.

وفي قصيدة أخرى يقول الشاعر دلي بن دبلان السبيعي يصف واقعة صيحة حصة:

صـــال الـدريعي بـالمظاهير والمال — كلـه لـعـين صــيحـة الـوايـلـيـة
وايل على صـمّ الرمك والنضـا — رخـم الـجـمـوع الـلـي تهـزّع قـويـة
صلنا من الشنبل إلى قصر شلال — متجـنـدين بـالسـيوف القضـيـة
السـيف شـرع بـالعلف والحمر — والخيـل شـربت من حياض المنية
والموت شـرف والتحم زجر وقتال — شـيل النفوس بعيد شـهر الضحية
تسـعين يوم بيـنـنـا كرّ وانزال — شـهرين والثالث بعيد ذبحنا بنيّة
يـاويّ خـيّـال عـلـى كـل خـيـال — عـزي لـكـم يـا عـزوة الشـمـريـة
ما عاد نركب خيلنا يا ابن هذال — ولا تـنـلـكـد بـكـعـوبـنـا مـعـنـقـيـة[1]
لو ما فعلنا كلنا حسـب الأنذال — لا شك جتك جموع وايل[2] سوية
تحفلي يـا بـنـت مـاضـين الأفعال — أرواحنـا من دون ضـيمك هـديـة

وقال الشاعر قاعد الرويلي في وصف واقعة صيحة حصة :

راكـب فـوق حـر يذعره ظلـــه — مثل شـاحوف شـط الموج لاجابـــه
لشيخ عنّاز ابن هذال نرسلـــه — هو يحسبنا حنا الميل نرضا بـــه
يا الزميلي تحسب الحرب تعللـه — والسـناعيس ربعك صـاروا أسـبابه
الدريعي يحرم شربة الدلـــه — قال والله لاحمسه ولا اتشقابـــه
غير يجري نهارٍ يسهج الحلـــه — والعذارى تصيح وتشعط ثيابـــه

(1) المعنقية: من أنواع الخيل الأصيلة عند قبيلة عنزة، والسبعة خصوصاً.

(2) كناية عن عنز بن وائل.

المبحث الثاني:

أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان وبنيه الجربا

يقول المؤلف أمين بن حسن الحلواني في كتابهِ مُختصر مطالع السّعود ما نصه صفحة: 124: في سنة: 1816م غارت الرولة بقيادة أميرها الدريعي بن مشهور على قبيلة شمر يُساندهم شيخ المنتفق (حمود بن ثامر)، ويُساند قبيلة شمر شيخ العبيد (قاسم بن محمد بن عبد الله الشاوي) وبعض قوات سعيد باشا الوزير، وكان (بنيه بن قرينيس الجربا) يصول كالنمرِ بين الجُموع، فجاءته رصاصة طائشة وقتلته، وقبره اليوم جنوب منطقة أم البعرور والحميدية على بعد 20 كلم من أرض الشامية.

فقال أحد شُعراء الرولة بعض الأبيات في هذا المناخ يذكر قدومهم من سوريا، وبالتحديدِ من (الشنبل) وهي البوادي التي بين حمص وحماه والنقعة[1]، وكثيرا ما يُقصد بها حمص.

ويَذْكُرْ أنَّ المعركه استمرت ثلاثة أشهر، وأنهم قتلوا بنيه الجربا، ثمَّ يمتدح فروسيته، ويتحسر على الفتاة التي يعتزي بنيه باسمها، فقد قُتل بنيه فمن يعتزي بعده باسمها ؟، أما الدريعي فقد رجع هو ومن معه بعد هذا المناخ إلى منازلهم وديارهم في الشّمال.

يقول الشاعر الرويلي:

سرنا من الشنبل إلى قصر شـلال   شهرين والثالث ذبحنا (بنيـــــــه)

ياوي، والله ياهل الخيل خيـــال   عـزي لعـقـبه عزوة الشمريـــــــه

هذا جزى اللي باعنا (بابن هذال)   جـبنا دماغه للبواشي هديـــــــه

---

(1) يُقصد بها حمص.

وقالت أم البندري هذه القصيده عندما قُتل بنيه الجربا، والبندري هي زوجة بنية الجربا:

عري قعودك يا لطيفة عن الشيل يحرم عليه معكفات الظلايل

يالبندري يا ويل عينك من الويل عينك مع السلفان من هي تخايل

ابكي بنية والرجال المشاكيل فكاك زمل منقظات الجدايل

جتنا جواده مارجن باول الخيل حالت عليهم سربة أولاد وايل

معهم الدريعي ضاريا للمصاويل ياما أرملوا بسيوفهم من حلايل

المبحث الثالث:

أمير الرولة الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان
وما قيل من الشعر عن إمارته على الجوف

ذكر المؤرخون سيطرة قبيلة الرولة على منطقة الجوف في عهد أميرها الدريعي بن مشهور الشعلان. وقد ورد ذكر هذا الأمر في العديد من القصائد الشعرية حينها [1]، منها قصيدة ابن طواري التالية الَّتي وصف بها حكم الأمير الدريعي لمنطقة الجوف فيقول :

للي ذكرتو يا ابن دابس حضــرنا	فـوق الـرمـك ومعـالجـات العنـانـا
واخطيـت في قـول الـدريعي غـتبرنـا	جـانـا على وضــح النقـا مع بيـانـا
امطـر مطرهـم يـوم خلّـب مطرنـا	واســفر ســماهم يوم ظلّم ســمانا
ضـــرب بـنـا حـتّى تـنـثّر حـمـرنـا	ويوم امتنعنـا عن ربوعـه حمـانـا
كلـه ســبـب عمـك بشــوره عثرنـا	والســود تطلا وجيهكم يـا اقربـانـا
بـالعهـد بقنـاهم ولا الله نصــرنـا	وســـيـلٍ تـحـدّر مـا يـرده نـيـانـا
في بيـت عـمـك يـوم جـانـا نـذرنـا	حســبي على من هو بشــوره عصـانا
نشــمت نصــيبك ليه يوم انكســرنا	وظلمت حظك وأنت سبّت عمانا [2]

(1) انظر: الجوف وادي النفاخ، عبد الرحمن السديري، ص : 124، ط2، 1426 هـ. في شمال غرب الجزيرة، حمد الجاسر، ص : 44، ط2، 1401.

(2) مقال بعنوان : منطقة الجوف وسيطرة الأمير الدريعي بن شعلان وقبيلته عليها على موقع WWW.BNABAR.COM



- **المُلحق الأول:**

رسائل الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان إلى شيوخ العُربان في بادية الشام والعراق.

- **المُلحق الثاني:**

الوثائق التاريخية التي ذكرت الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان.

- **المُلحق الثالث:**

صورة تقريبية للأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان.

المُلحق الأول:

رسائل الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان إلى شيوخ العُربان في بادية الشام والعراق[1]:

تمَّ نشر هذه الرسائل للفرنسيين والأوربيين.

سبب كتابة الرسائل:

كانت عشيرة الحسنة وحلفاؤها من الفواعرة والعمور والنعيم والحروب وبعض شمر وبعضاً من فخوذ عنزة تحت لواء الشيخ مهنا الفاضل المزيد أمير المنابهة مُسيطرة على بادية الشام كلها، ولا يُسمح لأي شخص قادم باقتحامها إلا إذا كان ضيفاً أو سائل عن حاجة أو ما شابه.

وعندما وصلت طلائع قبائل الجلاس إلى العراق، واستقرت في أطرافها على أنْ تتجاوز ذلك، بعد حين اكتشفَتْ أنَّ زعيم البادية الشامية (ابن ملحم) لا يسمح بالتجاوز عُنفاً، حينئذ بدأ أمير الرولة الدريعي بِمُراسلةِ بعض القبائل لكسبِ ودها ضد الشيخ مهنا الفاضل.

فقد راسل ما يُقارب خمساً وأربعين من مشايخ القبائل طالباً منهم إمّا أنْ تكون معي، أو ضدي.

وتوجد المخطوطة التي نتحدث عنها بالرقم (2298) في قسم المخطوطات العربيّة، بالمكتبة الوطنية بباريس عاصمة فرنسا.

وقد تمَّ نشرها لأول مرة بالفرنسية في سنة: (1835م) ضمن الجزء الرابع من كتاب (رحلة إلى الشرق) للشاعر الفرنسي لامارتين.

---

(1) بعض الرسائل ذكرها الصايغ في كتابه " رحلة فتح الله الصايغ" وقد سبق ذكرها في الكتاب.

ينبغي الذكر أنَّ الذي تولى كتابتها هو فتح الله الصايغ (عبد الله الخطيب) الذي رافق سُلطان الشّمال الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان وكان كاتبه، وقد ذكر ذلك في كتابه " رحلة فتح الله الصايغ " [(1)].

وهي ثمان رسائل مُكررة بنفس اللفظ أرسلها سُلطان الشّمال الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان إلى أمراء القبائل، وهم:

1. دوخي بن سْمير أمير قبيلة ولد علي.
2. سلامة بن نجر أمير قبيلة بني صخر.
3. إدْغَيْم بن علي أمير قبيلة السرحان
4. باني بن إمْهَيْب أمير قبيلة بني خالد.
5. تّراك بن معجل شيخ عرب الرفاشا.
6. سُلطان البَّراق شيخ عرب العمور.
7. سلامة النعَّسان شيخ عرب الفواعرة.
8. علي بن نجد شيخ عرب بوحَرْبا.

وكان يُرسل الرسالة مع تغييرِ اسمِ أمير القبيلة، وكل الرسائل أُرسلت بتاريخ 24/حزيران(يونيو) 1810 م. والرسالة الآتية نموذج منها.

من الدريعي ابن شعلان إلى: دوخي ابن سْمير أمير ولد علي.

بعد السلام ورحمة الله وبركاته: نُخبركم أنه جينا من بلادنا لأجلِ إعانتكم وتخليصكم من يدِ ناصر المهنا، الذي يُريد أنْ يدوسكم ويُخَرِّب نظامكم ويتكبر عليكم بوساطة الحكام، وبعدين نار العثماني تأكلكم، والآن رديت النقا على بيت الملحم، وناوي أنْ أُهاجمهم، وقصدي الآن أنْ تُظهروا حالكم من غيرِ مُحاباةٍ، إنْ كنت معي أو عليَّ، من كان معي ينزل قريباً مني، وإنْ كنت عليَّ تنزل بالقرب من مهنا الفاضل، والسلام ختام.

الإمضاء: الدريعي ابن شعلان ـ الختم

تاريخ الإرسال: الخميس: 24/حزيران(يونيو) 1810 م.

---

(1) رحلة فتح الله الصايغ، ص: 107، 108.

المُلحق الثاني

الوثائق التاريخية

التي ذكرت الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان :

rivalisierte sogar mit dem Pascha in der Pferdezucht und der glanzvollen Ausstattung seiner Pferde. Da er sich ihnen mit der Absicht vorstellte, die Prinzipien der christlichen Religion zu lehren, hätten sie ihn freudig aufgenommen. Orientalische Christen sähen gern im europäischen Missionar den Befreier vom Joch des Unterdrückers und ehrten ihn weit mehr als jeden asiatischen Bruder. Der Mann hätte sie jedoch um ihr Geld betrogen und aus ihrem Institut vertrieben. Wie er das tat, sagt sie nicht. Den verfolgten Christen im Orient könnte kaum mehr geschadet werden als durch Missionare, deren Fähigkeiten nie geprüft wurden.

3. Erlebnisse bei den Beduinen

In ihrer Verzweiflung über menschliche Zwiegesichtigkeit beschloß sie, den Städten mit ihrer Falschheit zu entfliehen und sich in die Wüste zurückzuziehen. Dort könnte man sicher sein, daß ein Mensch entweder Freund oder Feind sei, nicht das Letztere im Gewand des Ersten. Sie schrieb an einen Freund ihres Vaters, den Scheich des Stammes Dryaah in der Wüste zwischen Babylon und Bagdad, Dryaah Ibn Shaalan (Durai'a Ibn Ša'lān). Der schickte ihr seinen Sohn und seine Tochter mit Lastkamelen und seinem Lieblingspferd, um sie abzuholen. Daß das Verbot für Christen im Orient, auf einem Pferd zu reiten, auch Lady Hester Stanhope betraf, sagt sie an anderer Stelle.

Detailliert wie vorher den Harem der Schwester des Mosuler Paschas beschreibt sie den Empfang durch den Beduinenscheich, die Räume seines Zelts, die Speisen und „Tischsitten", also das Essen mit der Hand, auch die „Schlafbräuche", d. h., das Schlafen auf einem Teppich auf dem Boden. Daran konnte sie sich nicht gewöhnen, obwohl es dort nicht, wie in Bagdad, Skorpione gab, die Schlafende belästigten. Im Gegensatz zur oft leicht ironischen Distanz des berühmten Charles Doughty (1843-1926) gegenüber den Einheimischen in seinen „Travels in Arabia Deserta" (1888) preist sie die menschlichen Qualitäten ihrer Gastgeber.

Die Weite der Steppe, das frische Maigrün und die Frühlingsblumen am Euphrat boten ihr Erholung und Befreiung von der Erinnerung an das in Bagdad erlebte Unrecht. Sie rühmt die Höflichkeit des Scheichs, der sie aufforderte, nach dem das Mahl beschließenden Kaffee, den sich die Dryaahs zu ihrer Freude, anders als die Wahhabis, die Vorläufer der späteren Wahhabiten-Dynastie in Saudi-Arabien, gestatteten, ihre Narghila zu rauchen, obwohl dieser Stamm das ablehnte und sie darauf hatte verzichten wollen. Aber er hatte als Gast ihres Vaters beobachtet, daß sich die Großfamilie mit den Frauen nach dem Essen der Narghila erfreute. Der vornehmste

1. وثيقة باللغة الألمانية تذكر الأمير الدريعي بن مَشهور وخبرته في الصحراء.

وثيقة عثمانية من الصدر الأعظم العثماني شلبي مصطفى باشا

إلى أمير الرولة ورئيس القبائل الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان

سنة 1221 **مالية** .

قدوة الأماثل والأقران ساكن إيالة بادية الشّام والجوف أميرى دريعي الشّعلان و دالي باش عربان عنزه روله زيد قدره سزه سلام ادر سزه معلوم اولسون كي اشبو توقيع رفيع همايون سزه واصل بوا اثناء شام شريفة إيالت وأميرية الحاج وسر عسكر حجاز عهدة دستور مكرم وزيري مفخم كنج يوسف باشا أدام الله جلاله امر اديلديكى شام شريف إيالتى تولية اتسين و مملكتي ربط اتسين وفساد اربابن شرور ورفع اتسين.

أي أمير شام شريف باديسنده حسن صداقة واظهار ادر مشار اليه وزيرن رأي وامر التنداسن.

بناء عليه سنا أمرنا بو شريف اصدار اديلتكي مخصوص دكو ندرديك وصول بولمش اولمسي حالنده سن وسنن امرندك عربان حويطات وابناء شاكر ووزيري رأي واحد وسائر أحوال حسن غيره أوامرمن شريفيه مخالفه احتذر اتكي.

واعتمد اشبو علاقة شريفة غاية اعتمادلا يزجه عزيز وسلام اولورسن.

تحريرا 2 مايس 1221مالي. الاستانة.

صدر أعظم

شلبي مصطفى باشا

الخاتم والتوقيع

○ **ترجمة الوثيقة :**

صورة قوبجي (فرمان سلطاني) [(1)]

الباب العالي

الصدارة العظمى

مكتب آمدىء ديوان همايون

5021

قدوة الأماثل والأقران ساكن إيالة بادية الشام والجوف الأمير الدريعي الشّعلان و دالي باش (رئيس) قبائل الرولة وعنزة زِيْدَ قَدْرُهُ

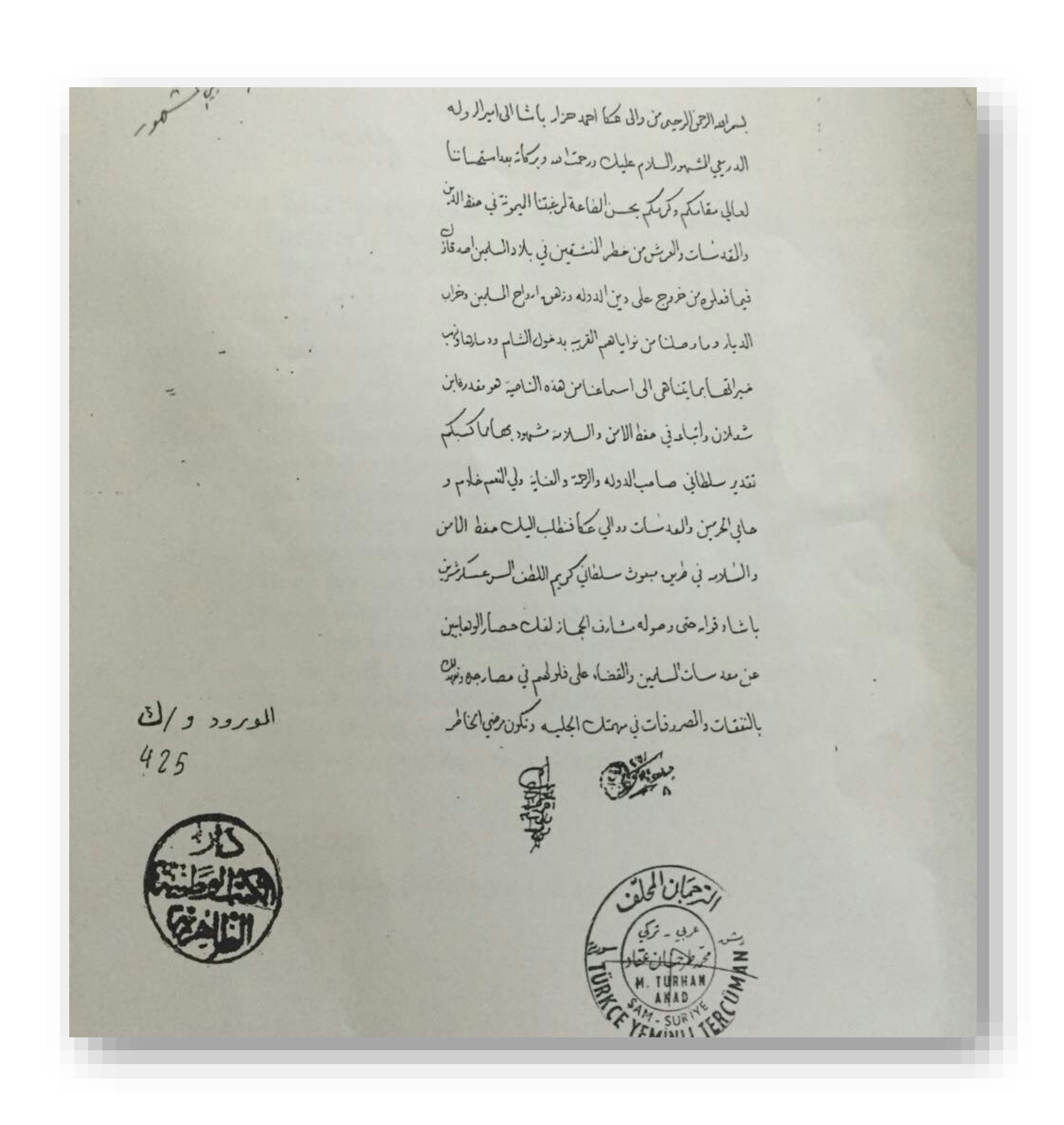
بعد السلام المنهي إليك يكون معلومك هذا التوقيع الرفيع الهمايوني الواصل إليك هو أنه وجهنا إيالة الشام وأميرية الحج وسرعسكرية الحجاز إلى عُهدة الدستور المُكرم وزيرنا المُفخم كنج يوسف باشا أدامَ الله جلاله، وأمرناه لتولية إيالة (ولاية) الشام لضبط وربط المملكة ومنع شرور أصحاب الفساد والخراب. وأنت أيها الأمير المُوْمَأ إليه (المقصود) عليك أن تُظهر حسن الصداقة والتعاون، وتكون تحت أمر ورأي وتحرير وزيرنا المُشار إليه(المذكور) في بادية الشام، وبناء على ذلك أصدرنا لك مخصوصاً هذا الأمر الهمايوني الشريف، وأرسلناه لكم.

حال وصوله لكم تكون أنت ومن في إِمرتك من عربان الحويطات وأبناء شاكر ووزيرنا رأي واحد في سائر الأحوال والأمور. ساعياً بِحُسن الغيرة والولاء لما يأمرك به، واحذر المُخالفة على الوجه المشروح(الموضح لك) بموجب صدور أوامرنا السلطانية الشريفة تكون مُمتثلاً ومُتتبعاً. واعتمد هذه العلاقة السلطانية الشريفة غاية الاعتماد حتى تكون عندنا عزيزاً مُجاباً محفوظاً والسلام. تحريراً في: 2 مايس سنة 1221 مالي، 1223 هـ 1808م، الأستانة.

الصدر الأعظم
شلبي مصطفى باشا
الخاتم والتوقيع

---

(1) الأرشيف التركي، إستانبول، مكتب آمدىء ديوان همايون، رقم: 5021 /36-45 -wg-n.



بسم الله الرحمن الرحيم من والي عكا احمد جزار باشا الى امير الروله
الدريعي المشهور السلام عليك ورحمة الله وبركاته بعد استحساننا
لعالي مقامكم وكرمكم بحسن الطاعة لرغبتنا الاكيدة في حفظ الدين
والمقدسات والحرمين من خطر المتشيعين في بلاد المسلمين احمد قاز
فيما افعلوه من خروج على دين الدوله وزهق ارواح المسلمين وخراب
الديار وما وصلنا من نواياهم القريبة بدخول الشام ودمارها ونهب
خبر لقا بما يتناهى الى اسماعنا من هذه الناحية هو مقدرة ابن
شعلان واتباعه في حفظ الامن والسلامة مشهود بها مما كسبكم
تقدير سلطاني صاحب الدوله والرحمة والعناية ولي النعم خادم و
حامي الحرمين والمقدسات ووالي عكا فنطلب اليك حفظ الامن
والسلامة في طريق مبعوث سلطاني كريم اللطف السر عسكر شريف
باشا وقواته حتى وصوله مشارف الحجاز لفك حصار الوهابيين
عن مقدسات المسلمين والقضاء على فلولهم في مصارعهم ونعدكم
بالنفقات والمصروفات في مهمتك الجليله ونكون رضي الخاطر

الورود و/ك
425

الترجمان المحلف
عربي - تركي
M. TURHAN AKAD
ŞAM - SURİYE
TÜRKÇE YEMİNLİ TERCÜMAN

2. رسالة والي عكا أحمد باشا الجزار إلى أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان في تاريخ 8 جمادى الأولى 1217هـ. [1]

(1) دار الكتب الوطنية الظاهرية، دمشق، تصنيف: و/ ك /425، 1217هـ.

شرح الوثيقة:

من والي عكا أحمد باشا الجزار إلى أمير الرولة الدريعي المَشهور الشّعلان

السلام عليك ورحمة الله وبركاته

بعد استحساننا لعالي مقامكم وكرمكم بحسن الطاعة لرغبتنا الميمونة في حفظ الدين والمُقدسات والعرش من خطر المنشقين في بلاد المسلمين أصدِقاؤك فيما فعلوه من خروج على دين الدولة، وزهق أرواح المُسلمين، وخراب الديار، وما وصلنا من نواياهم القريبة بدخول الشام ودمارها ونهب خيراتها بما يتناهى[1] إلى أسماعنا من هذه الناحية هو مقدرة ابن شعلان وأتباعه في حفظ الأمن والسلامة مشهود بها، مِمَّا كسبكم تقدير سلطاني صاحب الدولة والرحمة والعناية ولي النعم خادم وحامي الحرمين والمقدسات [2] و والي عكا [3]. فنطلب إليك حفظ الأمن والسلامة في طريق مبعوث سلطاني[4] كريم اللطف السر عسكر شريف باشا وقواته حتى وصوله مشارف الحجاز لفك حصار(...)[5] عن مقدسات المسلمين، والقضاء على فلولهم في حصار جدة، ونعهد لك بالنفقات والمصروفات في مهمتك الجليلة، وتكون مرضي الخاطر.

حُرر في 8 جمادى الأولى 1217هجري.

خاتم وتوقيع أحمد باشا الجزار

---

(1) يصل إلينا من أخبار.

(2) السلطان العثماني.

(3) صاحب الخطاب أحمد باشا الجزار.

(4) مبعوث السُلطان العثماني إلى الحجاز؛ القائد العسكري شريف باشا.

(5) السعوديون.

Islam's second-holiest city into his empire.
In the face of such authority, law and order prevailed under the Emir's central government. When Saoud Ibn Saoud returned to the Najd, he issued a proclamation promising strict protection of life, property and trade, throughout his domain. The new régime flourished, and the period came to be regarded as the zenith of Wahhabi power.

Sadly, the turmoil was far from over. In 1807, Saoud Ibn Saoud again marched to the Euphrates, where he laid siege to the walled city of Meshhed Ali. Failing to conquer that fortification, he was forced to withdraw. Two years later, he assembled another army of 30,000 men, intending to attack Baghdad; however, he abandoned his plan when disturbances broke out in the Najd.

The Kabakçi Mutiny And The Fall Of Selim III

Saoud Ibn Saoud's triumphs dealt a huge blow to the Sultan Selim III's prestige. Over many decades, Selim III's predecessors had invested huge sums in building fortifications along the caravan routes, also supplying military escorts for the annual Hajj. Ibn Saoud's success clearly showed that the official was powerless to prevent *Ikhwan* zealots from turning back pilgrims. Each Friday, as the Sultan went to the Mosque to pray, his humiliation intensified. Rumors that Selim III was an infidel intensified, suggesting that the two holy cities' loss was divine retribution for the sultan's manifest failure to restore stability in Arabia.

The halls of power were always a hotbed of conspiracies and intrigue. Sultan Selim III's enemies plotted to overthrow him. The discontent of the military garrisoned on Marmara's shores was no less subtle. On May 27, 1807, the mostly Albanian and Caucasian *yamaks* (mercenaries) mutinied, hacking their officers to pieces. A thousand of their number then marched on Constantinople, demanded that Mustafa IV, the sultan's cousin, be named the new Sultan. During the revolt, Mustafa IV's cutthroats strangled Selim III, allowing him to usurp his cousin's throne. Mustafa IV's inglorious reign lasted only fourteen-months (1807-1808) before he, too, was deposed.

Mahmud II—The Reformer

The task of resolving the Wahhabi dilemma fell to the brutal, execution-oriented Sultan Mahmud II, who reigned from 1808 to 1839. Ironically dubbed "The Reformer," Mahmud II was reminded that one claim on which the House of Ottoman staked its tenure was the Caliphate of the Holy Sites. Again called to assert his authority over Mecca and Medina, he resolved to take punitive action against the fanatics.

In the interim, the state of affairs in Arabia deteriorated. Saoud Ibn Saoud made another pilgrimage to Medina, where he demanded that the Prophet's tomb be opened. He sold or distributed the precious relics and rich jewels the tomb contained amongst his soldiers, provoking all Islam's outrage. In Mahmud II's eyes, Saoud Ibn Saoud's sacrilegious acts were untenable.

The Wahhabis continued their rampage into Oman and became infamous in India when they were suspected of a pirate raid committed against an Indian vessel. This provoked a punitive English expedition, sent in 1809 against the port of Ras-el-Kheymah on the Persian Gulf. Nonetheless, the following year Ibn Saoud made further inroads at Mattrah, which lay a few miles from Muscat. He also occupied Bahrain and placed a governor in charge of the island. In 1810, he invaded Irak. The next year, his son Abdullah came very close to Baghdad on a marauding mission, while another army, led by Abu Nocta, the Emir's slave, invaded Syria and held Damascus for ransom. It seemed likely that the Wahhabis' new Arabian Empire would extend to the shores of the Mediterranean, and in time, perhaps to every Ottoman state. Then, an alliance of northern Bedouins tribes, led by Edderhi Ibn Shaalan, a Sheikh of the Ruaulla, rescued Damascus. When the angry Bedouins trounced Abu Nocta's army near the Orontes River, the invaders fell back into the desert.

Crisis In The Sublime Port

When the foregoing occurred, the Ottoman Empire was enmeshed in an enormous political crisis. Turkey was fighting one of its incessant wars with Russia, and the Balkan states were in revolt. The Napoleonic Wars in Europe, and the threat of another invasion, deferred any military action. Bonaparte's 1798 invasion of Egypt and its political consequences greatly aided the Wahhabi's success. Vast distances, and the impenetrable El Hamad and Nefud deserts separating Turkey and Syria from central Arabia, made it impossible to send an army overland to the Wahhabi stronghold. However, the Emir's armies' absence in the northwestern peninsula provided a favorable opportunity. Egypt was then under the control of Mohammed Ali, and the Sultan entrusted him with the task of punishing Saoud Ibn Saoud and his zealots. ■

Don't miss "The Wahhabi Wars, Part II," in next month's issue!

3. وثيقة إنكليزية أخرى تذكر الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان عندما حمى دمشق من جيش أبي نقطة.

account of its general fertility, and the abundance and excellent quality of the pasture.

Nothing could exceed the cordiality of my reception at the encampment. I had no sooner arrived at the tent of the chief Dryaah Ebn Shalan, than I was introduced to his wife and relatives, and treated with the highest distinction. The spectacle which presented itself to my sight, on approaching the encampment, was most imposing. On the right, and on the left, as far as the eye could reach, the vast plain was covered with tents; while countless flocks of sheep, camels and horses innumerable, were grazing on the pastures around. No mountain range, no tree, intervened to break the level surface of the piain which surrounded us on every side.

It was the month of May, and the fresh green of the spring grass was rendered doubly brilliant by the many-hued flowers which every where sprang up in profusion. The vast expanse of verdure was relieved by the beautifully winding Euphrates, whose gentle eddies, ever and anon catching the sun's rays as they emerged from the shadow of the hanging bank, flashed forth their joy, like the glad eye of early youth. It seemed

4. وثيقة انكليزية لماري تيريز أسمر " أميرة بابلية " تصف كرم و حُسن استقبال أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان لها.

216 MEMOIRS OF A

intervention of the Sheikh Dryaah Ebn Shalan's daughter, permitted to enjoy my favourite nerghila.

After dinner we made a cheerful and merry evening of it; passing our time in dancing, singing, and relating stories till midnight. The next morning we rose at daybreak, and prepared to visit the encampment of the bride's father, which was at a very short distance. Long before sunrise all was ready, and shortly after we set out in the following order:—

Foremost of all rode a single cavalier, mounted on a splendidly caparisoned mare, bearing in his hand a byrakh, or flag, the pole of which must have been not less than fifteen or sixteen feet in length, I should say; for, when resting on the ground, the head of the horseman barely reached its middle. On the top of it floated a white flag, and as the procession proceeded on its way, the standard bearer every now and then cried aloud, "We go to seek honour without stain."

Next were ranged the camels, forming part of the bride's portion, covered with garlands and branches gathered on the banks of the Euphrates, with their drivers. These were followed by a

5. وثيقة إنكليزية أخرى لماري تيريز أسمر " أميرة بابلية " تصف كرم وحُسن استقبال أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان لها.

renie du pacha, et fut accablée par lui de politesses et de cadeaux, ainsi que son mari.

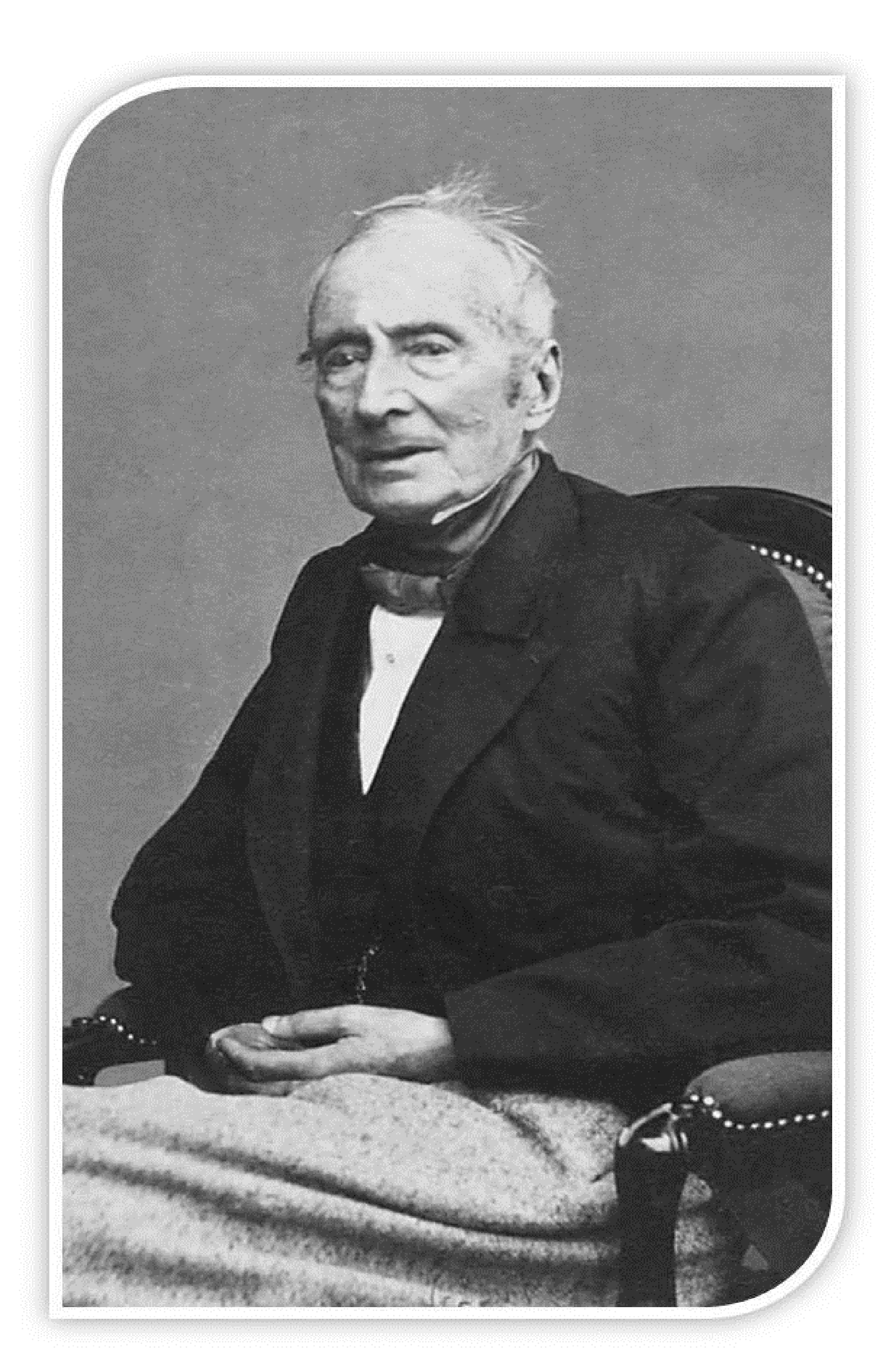
M. Lascaris écrivit donc à Soliman-Pacha, lui expliqua que les prétendus espions n'étaient autres que lui et son drogman Fatalla Sayeghir; que tout ce qu'on lui avait dit contre le Drayhy était faux: qu'il était au contraire dans les intérêts de la Porte de l'avoir pour ami, et de favoriser sa prépondérance sur les autres Bédouins. Le chokredar, qui tremblait pour sa vie, s'empressa de porter cette lettre à Damas, et revint le surlendemain avec une réponse des plus aimables pour Scheik Ibrahim, et une seconde lettre pour le Drayhy, dont voici le contenu. Après beaucoup de compliments à l'émir, il ajoute: « Nous avons reçu une lettre de notre « cher ami le grand scheik Ibrahim, qui détruit les « calomnies de vos ennemis, et rend les meilleurs « témoignages de vous. Votre sagacité nous est connue. Dorénavant nous vous autorisons à commander dans le désert, selon votre bon plaisir. Vous « ne recevrez de notre part que des procédés d'ami; « nous vous considérons au-dessus de vos égaux; « nous vous recommandons nos bien-aimés scheik « Ibrahim et Abdalla. Leur contentement augmentera notre amitié pour vous, etc. » Le Drayhy et les autres chefs furent très-étonnés du grand crédit de Scheik Ibrahim sur le pacha. Cet incident porta leur considération pour nous à son comble.

J'ai dit que le Drayhy était surnommé l'exterminateur des Turcs. Je m'informai de l'origine de cette épithète. Voici ce que me raconta le scheik Abdalla. Un jour le Drayhy ayant dépouillé une caravane qui se rendait de Damas à Bagdad, le pacha extrêmement irrité, mais n'osant se venger ouvertement, dissimula selon la coutume des Turcs, et l'engagea, par de belles promesses, à venir à Bagdad. Le Drayhy, franc et loyal, ne soupçonnant aucune trahison, se rendit chez le pacha avec sa suite ordinaire de dix hommes. Il fut aussitôt saisi, garrotté, jeté dans un cachot, et menacé d'avoir la tête coupée s'il ne fournissait, pour sa rançon, mille bourses (un million de piastres), cinq mille moutons, vingt juments de race kahilan et vingt dromadaires. Le Drayhy laissant son fils en ôtage, fut chercher cette énorme rançon, et dès qu'il l'eut acquittée il ne songea plus qu'à la vengeance. Les caravanes et les villages furent dépouil-

visir sur plusieurs points à la fois. Surpris de nuit du côté qui se trouvait sans défense, la terreur s'empara du camp ennemi. La confusion se mit parmi les osmanlis, et le Drayhy en fit un grand carnage, restant maître d'un immense butin: le pacha s'échappa seul avec peine et s'enferma dans Bagdad. Cet exploit avait répandu un tel effroi parmi les habitants, que, même après la paix, son nom était demeuré un objet de crainte pour eux. Abdalla me raconta plusieurs autres faits d'armes du Drayhy, et finit en me disant qu'il aimait la grandeur et les difficultés, et voulait soumettre tout à sa domination.

C'étaient précisément les qualités que Scheik Ibrahim désirait trouver en lui, aussi s'attacha-t-il, de plus en plus, au projet de le rendre maître de toutes les autres tribus: mais les Wahabi étaient pour lui de redoutables adversaires qui, peu de jours après, tombèrent sur la tribu de Would Ali, et se répandirent dans le désert, pour forcer tous les Bédouins à leur payer une dîme. Effrayés à l'approche de ces terribles guerriers, plusieurs tribus allaient se soumettre, lorsque Scheik Ibrahim persuada au Drayhy qu'il était de son honneur d'entrer en campagne, et de se déclarer protecteur des opprimés. Encouragées par son exemple, toutes les tribus, à l'exception de celles de El-Hassnnè et de Beni-Sakher, firent alliance avec lui pour résister aux Wahabi. Le Drayhy partit avec une armée de cinq mille cavaliers et deux mille mardouffs; nous fûmes dix jours sans recevoir de ses nouvelles. L'inquiétude était extrême au camp; des symptômes d'un grand mécontentement se manifestaient contre nous, les instigateurs de cette expédition périlleuse; notre vie aurait probablement payé notre témérité, si l'incertitude avait duré plus longtemps. Le onzième jour à midi, un cavalier arriva bride abattue, faisant flotter sa ceinture blanche, au bout de sa lance, et criant: — « Dieu nous « a donné la victoire. » Scheik Ibrahim fit de magnifiques présents au porteur de cette heureuse nouvelle, qui venait tirer la tribu d'une inquiétude mortelle, et nous d'un grand péril; toutes les femmes imitèrent son exemple, selon leurs moyens, et se livrèrent ensuite à des réjouissances bruyantes. Des cris et des danses autour de feux allumés partout, des bestiaux égorgés, des préparatifs de festins pour recevoir les guerriers, mettaient le camp dans une

6. وثيقة فرنسية للأديب ألفونس لامارتين يصف شجاعة أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان، وحصاره لمدينة بغداد، وحربه مع الجيش العثماني.



صورة الشاعرالأديب الفرنسي ألفونس لامارتين.

Chahlan, and to listen to no calumnies against Shekh Ibrahim and Abdallah. Couriers were sent to other tribes, and the chiefs mostly signed the treaty willingly; while many who at first objected were prevailed upon by Fatallah, who became an efficient diplomatist of the drayhy.

After some days spent in festivities they passed an arm of the Euphrates and encamped near the tribe of El Cherarah, celebrated for its courage, and also for its ignorance and obstinacy. A friendship existed between its chief, Abed, and the minister of king Ebn Sihoud, and he accordingly refused to join the alliance. Sahen was sent out with five hundred men to attack him, and he returned in three days with one hundred and forty camels and other booty; a few men were killed, but a great number wounded on both sides.

Abed collected his allies and the war daily became more serious. The encampment of the drayhy being now at some distance from the river, the women were obliged to bring water on camels, and on the third day eight hundred of the camels were carried off by the enemy. To avenge this outrage the drayhy advanced rapidly on the tribe of Cherarah, and after marching a day and a half, pitched ten thousand tents near the camp of Abed. A bloody battle seemed inevitable, but Fatallah resolved to prevent it if possible. Knowing that the Bedouins hold women in great respect, and consult them on all their plans, he visited Arquia the wife of Shekh Abed, who was a very superior woman, and by dint of compliments and presents led her on to the subject of the war, and incidentally explained to her the advantages of an alliance with the drayhy. Meanwhile her husband returned to the camp and sent orders to Arquia ignominiously to dismiss the spy, as the rites of hospitality would prevent him from taking vengeance. She haughtily refused, and in the end prevailed on Abed to listen to the proposals of Fatallah. A few days afterward he set his seal to the treaty and exchanged the camels taken in the war.

Having come near Bagdad, M. Lascaris secretly repaired thither to the French consul, to negotiate for a large sum of money. After crossing the Tigris, they learned that a sanguinary war was raging between the Bedouins, who took part for or against the alliance. They pushed on, and on reaching the frontiers of Persia met a messenger from the chief, Dehass, who demanded the assistance of the drayhy against enemies numbering fifteen thousand tents. They were six days distant from this tribe, but by marching day and night, without halting to eat.

7. وثيقة أمريكية للناقد الأدبي بايارد تايلور تتحدث عن شخصية أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان، وعن مُعاهدة الشيوخ معه.



صورة للأديب الأمريكي بايارد تايلور وهو ناقد أدبي ومُترجم ودبلوماسي.

المُلحق الثالث

صورة تقريبية للأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان



الخاتمة

في نهاية هذا البحث التاريخي الجديد في صياغته، والقديم في أصالة مادته وموضوعاته، حيث تحدث في سيرة شخصية تاريخية مَشهورة ومُهمة بقيت أخبارها مُتناثرة في بطون الكتبِ العربيّةِ والأجنبيةِ والعثمانيةِ، وفي صدورِ الرواةِ حتى عصرنا الراهن.

تمَّ بحمد الله وتوفيقه جَمْعُ بيانات سيرة وترجمة صاحبها وهو سُلطان الشّمال أمير قبيلة الرولة وتوابعها الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان في هذا السفر القيّم، حيث تمَّ التركيز فيه على ذكرِ أهمّ الأحداثِ والوقائعِ التاريخيةِ المحليةِ والعربيّةِ التي حدثت إبَّان إمارته لقبيلة الرولة، ورئاسته لحلفِ القبائلِ وتنصيبه سُلطان الشّمال.

وكان الدافع السياسي في تناول هذه الشخصية العربيّة الإسلامية التاريخية المُهمة هو طبيعة أدوارها الكُبرى، ومدى تأثيرها في مجرياتِ الأحداثِ السياسيةِ والعسكريةِ والاجتماعيةِ والدينيةِ زمن وجودها.

فتجلى التركيز في هذا السفر البحثي الجاد على نقلِ الحدث وتوثيقه باعتباره حقيقة تاريخية مؤكدة كما حدثت، وليس كما يرغب البعض لها أنْ تحدث، فكان من الواجب التاريخي إخراج هذا السفر إلى النور، كي يعرف العالم أجمع منزلة هذا الأمير الذي امتلأ الفضاء بأخبارِ شجاعتهِ وأخلاقهِ و قوةِ شخصيتهِ، وتوضيح المناطق الاستراتيجية التي كانت الدولة العليا تهتم بحمايتها في البوادي مثل: طريق الحرير وطريق الحج.

بيَّنا كيف كان سلاطين الإمبراطورية العليا العُثمانية يُخاطبون شخصه بـ: قدوة الأماثل والأقران، وأمير الرولة، ورئيس القبائل (دالي باش) باعتباره أصبح حليفاً استراتيجيا لهم في المنطقة، ولا سيما في مُحاربةِ وتأديب الخارجين على طاعتها، ومن

خطاباتهم إليه : " قُدوة الأماثل والأقران ساكن ولاية بادية الشام والجوف الأمير الدريعي الشّعلان رئيس عربان قبيلة الرولة ودالي باش من عنزة زِيْدَ قدرهُ ".

أيضا ذكرنا زيارته التاريخية ذات الطابع السياسي إلى الدِّرعيّة عاصمة السعوديين ومُقابلة حاكمها الإمام عبد الله، وكيف تمَّ بعد أيام من إقامتهِ عنده الاتحاد على أنْ يصير أمير الرولة سُلطان الشّمال، وأمير الدِّرعيّة ابن سعود سُلطان القِبلة ويكونا روحين في جسد واحد، وتحالفا على السيف والمصحف، وتعهد ابن سعود أنْ يَمُدَّ حليفه أمير الرولة بالمالِ والرجال لاستملاك عربستان إنْ طُلب منه ذلك، وتمَّ قراءة الفاتحة على ذلك.

وإذا ما تجاوزنا حياة البدو التي تستند بشكل أساسي على التنقل والحروب والسلب – وهذه طبيعة حياتهم- يمكن القول أنَّ حياة أمير الرولة تُعتبر مثالاً يُحتذى لكل من تَسلم إمارةً أو رئاسة، بل يمكن الاستفادة من سيرته العطرة وأخلاقه الرفيعة لتكون منهجاً تقتدي به الأجيال اللاحقة وتنهل منه قِيَمَ القيادة وقيم المروءة والشهامة والكرم.

فهرس المصادر

1- أبطال من الصحراء، زيد بن محمد السديري، جدة، 1423هـ، 2002م.

2- الأحكام السُّلطانية، الماوردي، دار الحديث، القاهرة، من دون تاريخ ورقم الطبعة.

3- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء)، شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ، 1993 م.

4- أميرة بابلية، ماري تيريز أسمر، ترجمة أمل بورتر، دار بغداد، بيروت، 1999م.

5- البادية بين عراقة الماضي وأصالة الحاضر، محمد الخالد الشرعبي العنزي، الجزء الثاني، دمشق، 1996م.

6- الأعلام، خير الدِّين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط 15، 2002 م.

7- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي أبو سعد، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العُثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 1382 هـ، 1962 م.

8- البدو، ماكس فرايهيرفون أوبنهايم، ترجمة الجزء الأول: ميشيل كيلو، ومحمود كبيبو، تحقيق: ماجد شبر، شركة دار الوراق، المملكة المتحدة، لندن، ط2، 2007م.

9- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، من دون تاريخ ورقم الطبعة.

10- تاريخ الأمير حيدر أحمد الشهابي، مطبعة السلام، مصر، 1900م.

11- تكملة المعاجم العربيّة، رينهارت بيتر آن دُوزِي، نقله إلى العربيّة وعلق عليه: محمد سليم النعَيمي، و جمال الخياط، الأجزاء من 1 –10، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية الطبعة الأولى، من 1979 - 2000 م.

12- الجوف وادي النفاخ، عبد الرحمن السديري، ط 2،1426هـ.

13- خُلاصة تاريخ العرب، لوي (لويس) بيير أوجين أميلى سيديو، أمر بترجمته علي باشا مبارك، مطبعة محمد أفندي مصطفى، حوش قدم، ط1، 1309هـ

14- الدُّرر المفاخر في أخبار العرب الأواخر، محمد البسام التميمي النجدي، تحقيق: إبراهيم أحمد علي، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، لبنان، ط2، 1999م.

15- رحلة إلى بلاد نجد، الليدي آن بلنت، ترجمة محمد أنعم غالب، منشورات دار اليمامة، الرياض، المملكة العربيّة السعودية، ط2، 1978م.

16- رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحارى العراق والعجم والجزيرة العربيّة، ت: د. يوسف شلحد، دار طلاس، دمشق، ط2، 1994م.

17- سنن أبي داود، أبو داود سُليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربيّ، بيروت، دون تاريخ ورقم الطبعة.

18- صنائع الإنكليز، سعود بن عبد الرحمن السبعاني، مكتبة شمس للنشر والإعلام، دون تاريخ ورقم الطبعة.

19- عشائر الرقة والجزيرة، محمد بن عبد الحميد ، ط 2003 م .

20- عشائر الشام، أحمد وصفي زكريا، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 1403هـ، 1983م.

21- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبد الله بن بشر، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، ط4، 1982م.

22- في شمال غرب الجزيرة، حمد الجاسر، ط2، 1401هـ.

23- قبائل بدو الفرات، الرحالة البريطانية الليدي آن بلنت، ترجمة: أسعد الفارس ونضال خضر معيوف، دار الملاح، دمشق، سوريا، ط1، 1412هـ، 1991م.

24- كنز الأنساب ومجمع الآداب، حمد الحقيل، دون ذكر طبعة ومكان وتاريخ الطبع.

25- لاسكاريس العرب، جان سوبلان، ترجمة: فريد جحا عن الفرنسية، دار طلاس، دمشق، ط1، 1987م.

26- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحاله، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1388 هـ - 1968 م.

27- معجم اللغة العربيّة المُعاصرة، الدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م.

28- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى وآخرون)، دار الدعوة، دون مكان وتاريخ ورقم الطبعة.

29- موسوعة العراق بين احتلالين (حوادث سنة: 1238هـ /1822م)، المُحامي عباس العزاوي، الدار العربيّة للموسوعات، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

30- النسب، أبو عُبيد القاسم بن سلام، (154 – 224 هـ) تحقيق: مريم محمد خير الدرع، دار الفكر، ط1، 1989م.

31- نابليون بونابرت، د. أيمن أبو الروس، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2013م.

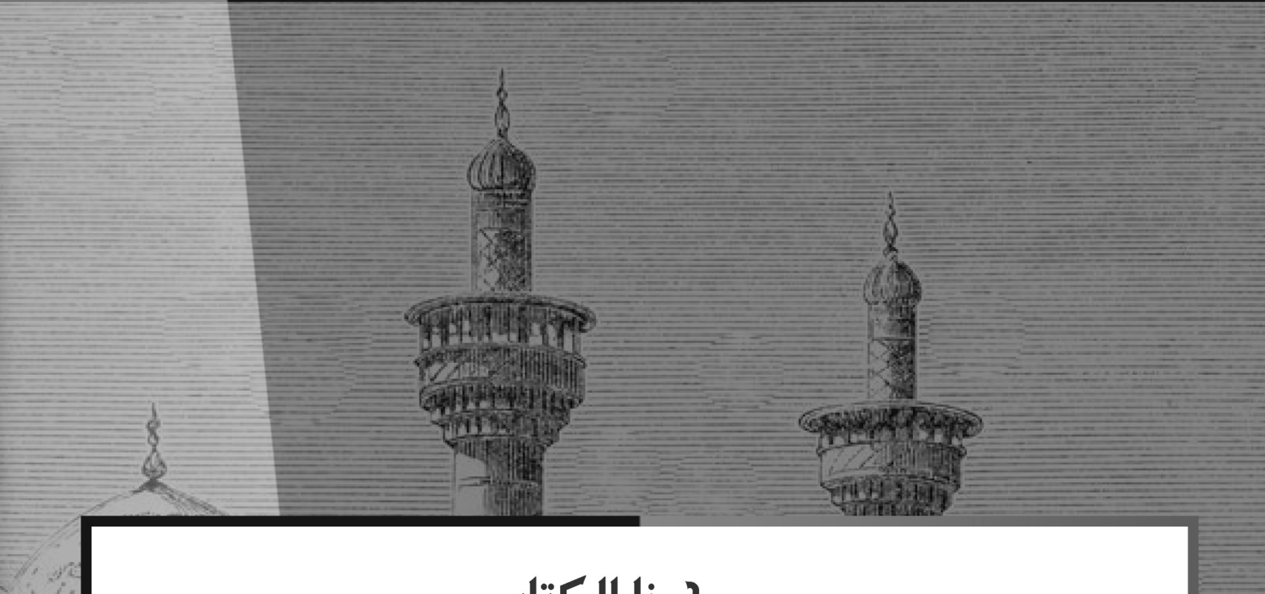
32- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدِّين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء: 1، 1900م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
- التقديم	7
- المُقدمة	10
- تمهيد: قبيلة الرولة في التاريخ	17
الفصل الأول: قبيلة الرولة في القرن (18) ميلادي	19
المبحث الأَوَّل: قبيلة الرولة في القرن (18) ميلادي	21
المبحث الثَّاني: هجرة قبيلة عنزة من نجد والحجاز إلى سوريا والعراق واستقرارها	25
- ديار الرولة في القرن (18) الميلادي	28
الرولة في بلاد الشام	29
- نسب قبيلة الرولة وتفرعاتها	30
الفصل الثَّاني: إِمَارَةُ الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان في قبيلةِ الرولةِ	33
المبحث الأول مفهوم الإمارة في اللغة والاصطلاح	35
1- أنواع الإمارة	36
المبحث الثاني : التعريف بالدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان	37
1- اسمه ونسبه	37
2- ولادته	37
3- أسرته	39
4- نشأته	39
5- صفاته وأخلاقه	41

6- التسامح الدِّيني عند الدريعي بن مَشهور واحترامه جميع الطوائف والأديان	41
أ- الصايغ وأمير الرولة	42
ب- ماري تيريز وحسن ضيافة وأمير الرولة لها	42
7- شجاعته	51
المبحث الثالث: أعماله وإمارته لقبيلة الرولة	54
1- أعماله وبطولاته	54
2- إمارته في قبيلةِ الرولةِ	56
الفصل الثالث: وقائع الرولة في عهد الأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف بن شعلان	63
المبحث الأوَّل: واقعة صيحة حصة	65
المبحث الثَّاني: وقائع الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان مع السعوديين	67
1- بداية الحرب مع السعوديين	72
2- الدريعي يرد غزواً آخر لجيش الإمام	75
3- الاستعداد للحرب مع جيش الإمام	76
4- المعركة الكبرى قرب حماة	77
5- انكسار الجيش العثماني	79
6- الحلف الأكبر	82
7- مع عرب العجم والهند	86
8- رسالة من الأمير عبد الله بن سعود إلى الأمير الدريعي بن الشّعلان	91
المبحث الثالث: الحرب بين الرُّوَلَة والحِسَنَة	97
الفصل الرابع: تحالُفات أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان	101

المبحث الأول : تحالف أمير الرولة الدريعي الشّعلان مع أمير الدِّرعيّة	103
المبحث الثَّاني: تحالف أمير الرولة الدريعي الشّعلان مع نابليون بونابرت	105
المبحث الثالث : تحالف أمير الرولة الدريعي الشعلان مع أمير العجم سعد البُخاريّ رئيس قبائل الهند	112
الفصل الخامس : أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان في كُتب المُستشرقين	115
المبحث الأَوَّل: لاسكاريس العرب -أو تيودور لاسكارس- يلتقي أمير الرولة الدريعي ابن مَشهور الشّعلان ويصف هيبته وطموحه	117
المبحث الثَّاني: المُستشرق الفرنسي سيديو يتحدث عن أمير الرولة وشيخها العام الدريعي بن مَشهور الشّعلان	120
الفصل السادس: صورة أمير الرولة الدريعي بن مَشهور الشّعلان في الشعر البدوي	121
المبحث الأَوَّل: أمير الرولة الدريعي بن مَشهور وصيحة حصة وما قيل فيها من الشعر	123
المبحث الثاني : أمير الرولة الدريعي بن مَشهور بن منيف الشعلان وبنيه الجربا	126
المبحث الثالث : أمير الرولة الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان وما قيل من الشعر عن إمارته على الجوف	128
الملاحق	129
المُلحق الأَوَّل: رسائل الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان إلى شيوخ العُربان في بادية الشام والعراق	130
المُلحق الثاني: الوثائق التاريخية التي ذكرت الأمير الدريعي بن مَشهور الشّعلان	133
المُلحق الثالث: صورة تقريبية للأمير الدريعي بن مَشهور بن منيف الشّعلان.	145
الخاتمة	147
فهرس المصادر	149
فهرس الموضوعات	151



هذا الكتاب

في تاريخ الجزيرة العربية وبادية الشام والعراق جرت أحداث كثيرة ومهمة في مطلع القرن التاسع عشر إبان العصر العثماني .

وهذا الكتاب حديث في سطوره قديم في حوادثه وحقائقه وشخصياته التاريخية .

تناول واقع إمارة الدريعي بن مشهور بن منيف الشعلان في قبيلة الرولة العنزية من خلال التعريف بشخصية الدريعي وتوضيح سياسته الداخلية والخارجية في إمارة الرولة بما يتصل بإعلاء شأنها وقوتها على الصعيد المحلي والعربي والعالمي .

مُستشهداً بالأحلاف العربية والأجنبية لأمير الرولة ، و بحروبه مع العظماء في زمنه ، وتوثيق انتصاراته التاريخية .

وقد اعتمد المؤلف على أصول المصادر التي عاصر مؤلفوها – وخاصة المستشرقين – عصر أمير الرّوَلَةِ .